جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان:

العنف اللّغوي في خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ

The Linguistic Violence In Speeches For Al Hajjaj Bin Yousef Al Thagafi

إعداد :

سخاء أحمد مهيدات

إشراف الدكتور:

محمود سالم خريسات

تاريخ المناقشة

2019/5/5م

العنف اللّغوي في خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ

The Linguistic Violence In Speeches For

Al Hajjaj Bin Yousef Al Thagafi

إعداد الطالبة

سخاء أحمد محمد مهيدات

بكالوريوس لغة عربيّة وآدابها، جامعة اليرموك

قدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها،
تخصص لغة ونحو، كليّة الآداب . جامعة اليرموك

وافق عليها

د. محمود خريسات..... مشرفا ورئيسا

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربيّة، جامعة اليرموك

د. مصطفى الحيادرة..... عضوا

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربيّة، جامعة اليرموك

د. أحمد الزعبي..... عضوا خارجيا

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربيّة، جامعة مؤتة

الإهداء

إلى من أسْدى المعروف وقدّم الخيْر وواصل العطاء، **أبي الغالي** الّذي علّمني

الاتّزان والتّواضع والاحترام، والذي مهّد لي طريق العلم، ووهبني كلّ ما يملك،

وعفوا إن قصّرنا في حقك.

وإلى الّتي صبرتْ وتضرّعتْ وضحّتْ كثيرا، شوقا لرؤية حلمي يغدو حقيقة،

أمي الحبيبة التي علمتني أن أمضي في الطريق بإصرار.

وإلى **زوجي** صادق الذي اختار أن يرافقني فأشرقت شمسه في سماء حياتي،

وإني لأرى النور والمستقبل المشرق في عينيه.

وإلى من تقاسمنا معهم عبء الحياة، وهم السند والقوة والملاذ، الشّموع التي تنير

الطريق ومن سرنا معهم سويا ونحن نشق طريق النجاح، من آثروا على أنفسهم

أخواني وأخواتي محبة ووفاء.

الشكر والتقدير

من منطلق أن من لا يشكر الناس لا يشكر الله، أتقدم بالشكر الجزيل لكل من كان عونا لي في إنجاز هذه الرسالة، وأخص:

الدكتور محمود خريسات لتفضله مشكورا بقبول الإشراف على هذه الرسالة مع حسن توجيهه، وصبره.

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور محمد أبو عيد الأستاذ في جامعة البلقاء التطبيقية فرع كلية بنات إربد لتفضله باقتراح موضوع هذه الرسالة .

كما وأشكر الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، الدكتور مصطفى الحيادرة والدكتور أحمد الزعبي.

وأكرر الشكر لأفراد عائلتي الذين وقفوا إلى جانبي وقدموا لي الدعم المادي والمعنوي.

فهرس المحتويات

الإهداء..... ج

الشكر والتقدير..... د

فهرس المحتويات..... هـ

الملخص بالعربية..... ز

الملخص بالإنجليزية..... ح

المقدمة..... 1

التمهيد..... 5

أولا: مفهوم العنف اللّغوي..... 5

ثانيا: فن الخطابة..... 9

1- الخطابة لغة.....9

2- الخطابة اصطلاحا.....10

3- منزلة الخطابة عند العرب.....12

4- السمات اللّغوية للخطبة.....16

5- العادات الخطابية العربية.....18

ثالثا: أخبار الحجّاج بن يوسف الثقفيّ.....24

الفصل الأول: ألفاظ العنف وتراكيبه في خطب الحجّاج..... 31

المبحث الأول: ألفاظ العنف في خطب الحجّاج: دراسة معجمية صرفية.....32

المبحث الثاني: ألفاظ العنف وتراكيبه في خطب الحجّاج.....47

الشرط.....48

النداء.....51
الاستفهام.....53
الأمر والنهي.....54
الفصل الثاني: العنف على المستوى الدلالي.....56
التشبيه.....60
الاستعارة 63
الكناية.....66
الصور الفنية.....68
الفصل الثالث: العنف من خلال نظرية أفعال الكلام.....70
مدخل.....71
التحذير والتهديد.....88
الحجاج.....95
الاستمالة.....97
الخاتمة.....101
قائمة المصادر والمراجع.....102

الملخص

العنف اللّغوي في خطب الحجاج بن يوسف الثقفيّ

إعداد

سخاء أحمد مهيدات

إشراف

الدكتور محمود سالم خريسات

يُعتبر الحجّاج من أميز خطباء العصر الأمويّ، وقد رويت له مجموعة من الخُطَب تُظهر بلاغته وفصاحته وتميزه في الخطابة؛ إذ تنطوي خطبه على مميزات تجعلها في صدارة النصوص النثريّة التراثيّة، وتكشف عن رصيد لغويّ يتكون من القرآن الكريم وأشعار العرب.

كما عُرف الحجّاج ببلاغته وفصاحته عُرف عنه عنفه وقسوته، ويمكن الكشف عن جوانب الشخصية من خلال تراثها المنسوب لها؛ إذ تعكس هذه الخطب شخصية المتكلم (الحجّاج) وتُظهر طبيعة العلاقة بينه وبين المتلقين؛ وقد شكّلت هذه الخطب أوج العنف الذي بلغته الخطابة في العصر الأمويّ.

ونجد بعض الإشارات التي تظهر العنف عند الحجّاج من خلال المادة اللغوية لهذه الخطب؛ حيث لا تكاد تخلو من ألفاظ تدل على العقلية العسكرية وعلى معاني التهديد والوعيد، بالإضافة إلى توظيف الأساليب اللغوية كاستراتيجيات للتهديد والإهانة،وقد استخدم الحجّاج أساليب الشرط والاستفهام والأمر والنهي في ذلك.

الملخص بالانجليزية

Al-hajjaj is considered to be among the most distinguished speakers of the ecumenical era, and a series of speeches have been given to him showing his eloquence and his distinction in the sermon his speeches include features that make it the top of the rich hertage text and reveal alinguistics balance that consists of the holy quran and slogan of arabs.

Al-hajjaj were also known for their eloquence, which was known for his violence and strength, and aspects of personality could be revealed through their heritage attributed to them, these speeches reflect the personality of of the speaker al- hajjaj and show the nature of relation ship between him and the recipients these speecheswere the culmination of the violence of the speech of the ummiad.

The signs of violence in al- hajjaj can be seen through the linguistic material of these sermons.It is almost devoid of words indicating military mentality and the meanings of threats and intimidation.In addition, the use of linguistic methods as strategies for threatening and insulting, and al-hajjaj have used the methods of condition, questioning, ordering and forbidding.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيّدِنا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد؛

للحرب لغة وللسلم لغة، فألفاظ اللّغة المعبرة عن حالة الحرب تتسم معانيها بالقوة والعنف، والبطش، والقهر، والسيطرة والتّحدي؛والمتأمل في السلوك اللّغويّ اليوميّ للبشر يلحظ مدى اتساع العنف والذي يتخذ شكله الأرقى في التهديد الذي يحمل في جوهره بُعدًا إرهابيّا وتخويفيّا؛ ولا ريب أنّ التّعرف على القوانين التي تُشْرف على النظام اللّغوي بتحليل نصوص لغويّة بأدوات محددة؛ فيه سعي إلى تنويع التّراكيب اللّغويّة لأداء وظائف معينة؛ وهذا التّسويغ هو الذي يُثري اللّغة إثراء يحفظ أصولها ولا يكون حاجزا أمام تطورها وتجددها.

وترتبط السّياسة بالعنف في أحوال كثيرة، بل إن العنف يعدّ أول مصادر السلطة وأول أدواتها. وقد تميّز العصر الأمويّ بكثرة الفِتَن والحروب، وتراوحت الخطابة بين الترغيب والترهيب؛ ولم ترتبط الخطابة بالعنف مثلما ارتبطت به عند الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ؛ إذ اشتملت على المعاني التهديدية والسّب والقَذْع كثيرا.

ويزخر تراثنا العربيّ القديم بمجموعة من النصوص النّثريّة، وتقف الخُطَب في صدارة النصوص النّثريّة التراثيّة، ولا ريب أنَّ دراسة هذه الخُطَب تساهم في نفض الغبار عن التراث وتقديمه للدراسين، كما تكشف عن بلاغتها ومواطن التّميز فيها وشخصية مبدعها؛ولعلّ من مظاهر العناية بها ما قام به أحمد زكي صفوت الذي جمع كثيرا من الخطب العربيّة عبر العصور المختلفة، وأحال إلى مصادرها الأصلية؛ وذلك في كتابه" **جمهرة خُطَب العرب**" وهو الكتاب الذي اعتمد في توفير نصوص خُطَب الحجّاج.

ويقوم هذا البحث على دراسة وتحليل مادة العنف اللغوي في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي وذلك انطلاقا من السؤالين:

1- كيف تعبر اللغة بمعجمها وتراكيبها وأساليبها عن العنف؟

أو ماهي البُنى اللّغويّة لمادة العنف؟

2- ما الذي يمكن أنْ تعكسه هذه المادة من خصائص تُعبر عن واقع العرب أو أمزجتهم النفسية وبيئتهم الاجتماعيّة في الميدان المدروس؟

ويُعدّ موضوع العنف اللّغويّ من المشترك اللّسانيّ بين اللُّغات وهذا من أهم الجوانب التي يُعنى بها الدّرس اللّسانيّ الحديث، إلى جانب ما يعكسه هذا الموضوع من خصوصيات ثقافيّة عربيّة تبرز افتراق الثّقافة العربيّة واختلافها عن غيرها من الثّقافات، وهو موضوع له حضوره في خطب الحجّاج بن يوسف الثقفي الذي يُعدّ من أظهر رموز السّلطة والعنف عبر الحقب التاريخيّة المختلفة؛ مثلما تعد الخطب وهي فن مخاطبة الجماهير للتأثير فيهم من أكثر فنون القول التصاقا بالمجتمع، وهو ما قد يخبرنا بالكثير عن اللّغة وعلاقتها بالمجتمع.

ولقد ازدهرت الخطابة في العصر الأمويّ ازدهارا كبيرا، وشكّلت مرآةً صافية عكست أحوال هذا العصر؛ ولمعت أسماء عديد من الخطباء في هذا العصر؛ وكان الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ من أشهر الخطباء، وأكثرهم بلاغة، بحسب ما شهد له الدارسون؛ حيث عُدّ أحد أربعة من العرب لم يلحنوا في جِدٍّ ولا هزل.

شكّل النظر إلى اللّغة من زاويتي الشكل والوظيفة افتراقا في الدّراسات اللّغوية؛ وهو ما أدى إلى ظهور دراسات تركّز على الطرق والقواعد التي تستخدم في اللّغات المختلفة، ودراسات تركز

على الوظيفة التي تؤديها اللّغة في المجتمعات البشريّة؛ وهو ما أوجد فيما بعد انفتاحا في الدّرس اللّغوي الحديث على العلوم المجاورة. وإذا كانت الدّراسات اللّغويّة قد تميّزت في القرن التاسع عشر بطابع المقارنة وتصنيف اللّغات لمعرفة الصلة بينها؛ فإنّه قد برزت خلال القرن العشرين ثلاثة اتجاهات لغويّة تباينت في نظرتها إلى اللّغة وفي طريقة دراستها، وهذه الاتجاهات هي "الاتجاه الوصفي" و"الاتجاه التحويلي التوليدي" و"الاتجاه الوظيفي الاجتماعي".

وتسعى هذه الدراسة للكشف عن العلاقة بين اللّغة وشخصية المتكلم؛ وذلك من خلال تحليل نصوص هذه الخُطَب ودراستها لغويّا للكشف عن البيئة المحيطة وشخصية المتكلّم والظروف المحيطة به لأن الأدب كما قالوا مرآة المجتمع والنص يعكس شخصية قائله. وتسعى كذلك للكشف عن الوسائل اللغوية التي استثمرت للتعبير عن العنف سواء بتهديد المخاطب أو إهانته.

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفيّ التّحليليّفي دراسة نصوص الخُطَب، وهو المنهج الأكثر استخداما في الدّراسات العلميّة،ويستفيد هذا البحث من منجزات علم اللّغة عامة واللّسانيات الاجتماعية خاصة، وذلك أنّها تنتقل باللّغة بشتى تفرعاتها في مجال النّحو والأبنية والدّلالة والأصوات إلى أفق الاستعمال الحي في اللّغة التّواصليّة التي تصف مناشط الإنسان جميعا. واللّغة باعتبارها نشاطا اجتماعيا تفصح عن العلاقات الشخصيّة والقيم الحضاريّة والاجتماعيّة؛ لتعد من أقدر الأنشطة وأقواها وأكثرها فاعليّة حين نريد استقصاء ملامح مجتمع معيّن وحين نريد أنْ نقف على أعرافه وتقاليده وعقائده وتكوين ذوقه الجماليّ وفعله الحضاريّ.

وفي سبيل إنجاز هذا البحث كان لا بدّ من الاعتماد على العديد من المصادر والمراجع وفي صدارتها: كتاب جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، ومجموعة من المعاجم اللّغوية وهي:"لسان العرب" لابن منظور، و"تاج العروس"للفيروزآبادي، وكتاب "البيان والتبيين" للجاحظ و"الكامل" للمبرد والعديد من الكتب التي تناولت الخُطَب بالدراسة.

واحتوت هذه الدّراسة على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة بها النتائج، وضمّ التمهيد مجموعة من العناصر هي: مفهوم العنف اللّغوي، وفن الخطابة، وأخبار الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ.

وتضمن الفصل الأول من الرسالة مبحثين، الأول؛ بعنوان: ألفاظ العنف في خُطَب الحجّاج: دراسة معجميّة صرفيّة؛إذ تناول الفصل مجموعة من المفردات التي وردت في خُطَب الحجّاج وتمّ دراستها من ناحية بنيتها الصرفية ومعناها اللّغويّ الذي ينطوي على معاني الشّدة والقسوة. والمبحث الثاني يحمل عنوان ألفاظ العنف وتعبيراته في خطب الحجّاج.

وأما الفصل الثاني فيحمل عنوان العنف على المستوى الدّلاليّ والبلاغيّ ويتضمن عددا من جوانب الدّرس البلاغيّ ومنها: التشبيه والكناية والاستعارات، مع عرض موجز عن كل فن من هذه الفنون التي توافرت وبكثرة في الخُطَب.

أما الفصل الثالث فيحمل عنوان العنف من خلال نظريّة أفعال الكلام، وهي نظرية من حقل التّداوليّة، ظهرت في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة وواضعها جون اوستن الفيلسوف البريطانيّ.

وتوصّلت الدراسة إلى النتائج التي وضعت في الخاتمة، وانتهى البحث بقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

تحمل هذه الدّراسة عنوان: العنف اللّغويّ في خُطَب الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ؛ وقبل البدء فيها يجب أنْ نتناول مفردات هذا العنوان بشيء من التفصيل:

أولا: مفهوم العنف اللّغويّ

يُعدّ مفهوم العنف من المفاهيم الاجتماعية التي تصعب الإحاطة بها وتعريفها تعريفا جامعا مانعا نظرا إلى اتسام ظاهرة العنف بالتعقيد والتداخل.

والعنف ضد الرّفق، وترتبط بمفردة العنف لغويًّا جملة من معاني القسوة والشِّدة؛ بحسب ما ذكرت معاجم اللّغة؛جاء في مادة " ع ن ف " في لسان العرب:

" الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو عنيف، إذا لم يكن رفيقا في أمره، وفي الحديث: إن الله تعالى يُعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف" وعنف به، وعليه عنفا وعنافة، أخذه بشدة وقسوة، ولامه وعيّره، واعتنف الأمر: أخذه بعنف، والتعنيف التوبيخ والتقريع واللّوم."[1]

وتشير الدّلالة اللّغويّة للكلمة إلى كل سلوك يتضمن إساءة فعليّا كان أو قوليّا، وهو ما يتفق مع ما قدّمه علماء الاجتماع حول تمثل العنف في صورتين: العنف الجسديّ؛ والعنف اللّفظيّ.

وتقع الكلمة في مجال دلالي واسعيندرج معه عدة كلمات، ومن هذه الكلمات: الإيذاء والإساءة والعدوان والضرب.

والعنف اصطلاحا، وتقابله في الفرنسية كلمة violence؛ مفهوم اجتماعي، ويُعرّف بأنه:" استخدام القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون"[2]، ويرى فرويد أن العنف هو نزعة

---

[1] **لسانالعرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة " ع ن ف "

[2] **العنف والعنف السياسي**، نجاة بلحمام، مجلة الباحث، العدد الثامن: 2011، ص272

طبيعية في الإنسان؛ وتستند إلى رغبة تدميريّة، وهي تُعبّر عن نزعة تلقائيّة لكل كائن عضويّ نحو الموت؛ ويقابلها نزعة طبيعيّة أخرى نقيضة لها هي نزعة الحياة والتي تدفع الإنسان إلى الإبداع.

ويعرّف العنف أيضا بأنه:" نمط من أنماط السلوك الذي ينبع من حالة إحباط مصحوب بعلامات التوتر ويحتوي على نية سيئة لإلحاق ضرر مادي ومعنوي بكائن حي أو بديل عن كائن حي."[1]

والإساءة البدنيّة هي شكل من أشكال العنف الذي يتضمن صورا كثيرة للإيذاء تبدأ بالضرب المبرح وتنتهي بالقتل.

وأما العنف اللّغوي فمصطلح ظهر في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة ليشير إلى الأداءات اللّغويّة المتمردة التي تصدر عن أبناء اللّغة وتخرج عن القواعد القياسيّة التي درسها النحاة. ويُعدّ كتاب "عنف اللغة" للّغوي الفرنسي جان جاك لوسيركل من أول الكتب التي تناولت هذا الموضوع؛ وإنْ كان يذكر أنّه ليس رائدا في هذا المجال، وهو بهذا المفهوم ما لا تقصده هذه الرسالة.

وتعد قضية المحظورات والشتائم من أهم ما يتناوله علم اللغة الاجتماعي؛ يقول هدسون:" إن قضية المحظورات اللّغوية وأشباه المحظورات مثل اللّغة العاميّة السوقيّة والسباب والشتائم والإهانات تستحق المزيد من البحث الجاد من قبل علماء علم اللّغة الاجتماعي فهي قد تخبرنا بالكثير عن اللغة وعلاقتها بالمجتمع"[2].

---

[1] **الإساءة اللفظية ضد الأطفال من قبل الوالدين في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية بالوالدين**، شقيرات، مجلة الطفولة العربية، الكويت، ع:7، 2001، ص 8

[2] **علم اللّغة الاجتماعي**، د.هدسون، ترجمة محمود عيّاد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990، ص88

نبذة تاريخية:

كان عهد الدولة الأمويّة حافلا بالصراعات السّياسيّة حيث شهدت الدولة معارضة شديدة مما أدى إلى ظهور الأحزاب السّياسيّة؛ "وكان بنو أمية تعارضهم مجموعة من الأحزاب، هي: حزب الزبيريين وعلى رأسه عبد الله بن الزبير، وحزب الشيعة وهم القائلون بالوراثة وأصحابها بنو هاشم، والخوارج خرجوا عن طاعة الإمام علي بعد أنْ قَبل وقف القتال في معركة صفين.ولقد أثّرت في هذا العصر كثير من أحداث وقعت في العصر الإسلاميّ؛ فقد قُتل عثمان ونازع معاوية عليا على الخلافة وكانت معركة صفين وخديعة التحكيم التي فرقت جيش علي وأنبتت نابتة الخوارج، ولما قُتل علي وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية سكن الحال قليلا وهدأت الثورات."[1]

ولعل من أهم ما يذكر من اختلافات هذا العصر هو "اختلاف طبيعة الحكم من نظام الشورى إلى النظام الوراثيّ المستبدّ"[2].

وفن الخطابة كان مزدهرا في عصر تميّز بكثرة الفتن والحروب، وإن أهم ظاهرة تميز بها العصر الأمويّ تعدد الأحزاب السياسية لهذا لم تكن الحياة السياسية هادئة بل كَثُرت فيها الفتن والاضطرابات والنزاعات خصوصا بعد واقعة صفين؛ وقد تمحور الخلاف بين الحزب الحاكم؛وهم بنو أمية وأحزاب المعارضة حول مسألة الخلافة وكان كل حزب يتخذ الخطابة وسيلة لنقد خصومه وبيان نظرته السياسيّة؛ و"الصراع السياسيّ بين الجماعات، الذي يأخذ هذه الصفة الدينيّة، يؤدي في النهاية إلى إضعاف تلك الجماعات، ويقوي النخبة الحاكمة، ويدفعها إلى مزيد

---

[1] ينظر: **تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي**، محمد الخوالدة، رسالة ماجستير، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 2016، ص23

[2] **حجاج الإيهام والمغالطة في الخطابة العربية (منتخبات من خطب الحجّاج بن يوسف الثقفي)**، عمارية حاكم، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، مج:2، ع:5، 2017، ص60

من الاستبداد، فتضعف التيارات السياسية والحركات الاجتماعية بعضها بعضا ويتدعّم بضعفها الحكم الاستبدادي القوي."[1]

وقد اتسمت خطابة الخلفاء بالقوة والبطش؛ حيث قامت خطب بني أمية في المراحل الأولى على الاتهام والتهديد والوعيد؛ من ذلك خطبة لعبد الملك بن مروان يقول فيها:" إن الحرب صعبة مرة، وإن السلم أمن ومسرة، وقد زينتنا الحرب وزيّناها فنحن بنوها وهي أمنا."[2]وهذه الخطبة دليل على استعمال الخلفاء للقوة وأنّهم يعرفون الحروب كما يعرفون أمهاتهم.

[1] **في البدء كان الصراع**، خلدون النقيب، دار الساقي، بيروت، ط1، 1997، ص153

[2] **جمهرة خطب العرب**، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، ج197/2

ثانيا: فن الخطابة

1- الخطابة لغة:

ورد في لسان العرب تحت مادة (خطب) ما يلي:

" الخطْب: الشأن أو الأمر، صَغُر أو عَظُم؛ وقيل هو سبب الأمر... وخطب الخاطب على المنبر، اختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: خَطْبة، ونُقِل عن أبي إسحاق قوله: الخُطْبة عند العرب: الكلام المنثور المسجّع".[1]

وورد في أساس البلاغة للزمخشري أنّ الخطابة بمعنى:" المواجهة بالكلام"[2]، والخُطْبة في المقاييس:" الكلام المخطوب به"[3].

والخَطابة؛ بفتح الخاء : هي تدليس الناس بالكلام.

والخِطبة: هي بمعنى طلب الزواج، قال تعالى:﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾[4]. والجدير بالذكر هو أنّ مفردات الجذر (خطب) قد استعملت في آيات أخرى من القرآن الكريم بمعنى الفعل العظيم والعمل الشاق قال تعالى:﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾[5]و ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[6] أي: ما هو عملكم وفعلكم وفعلكم العظيم.

---

[1] **لسان العرب**، ابن منظور، مادة " خطب"

[2] **أساس البلاغة**، الزمخشري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003، " خ ط ب"

[3] **المقاييس في اللغة**، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار الإسلامية، بيروت، 1990، "خطب"

4سورة البقرة:235

5 سورة طه:95

6سورة الحجر:57

2- الخطابة اصطلاحا

هي فنّ قوليّ يقوم على ثلاث عناصر هي: الخطيب والخطبة والمتلقون، وهي مظهر اجتماعي يعكس خصائص المجتمع؛ وتناول عدد من الأدباء والفلاسفة مصطلح الخطابة بالتعريف، واتفقت تعريفاتهم على أن هدف الخطيب هو:" التأثير في السامعين وإقناعهم بفكرة ما."[1]

أما الخطابة (Rhetorique) اصطلاحا فقد عرّفها أرسطو بأنّها:" قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"[2]. وقال الرازي في مفاتيح العلوم:" الخطابة كتاب لأرسطو يتكلم فيه عن الأشياء المقنعة، ومعنى الإقناع أنْ يعقل نفس السامع الشيء بقول يصدّق به وإنْ لم يكن ببرهان"[3] ومن أشهر تعاريفها "فنُ مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته."[4]

ويعد كتاب "أرسطو" "الخطابة" من أبرز الكتب التي تحدثت عن الإقناع وآلياته، وذلك لأنّه ربط الإقناع بالخطابة واعتبر أنّ وظيفة الخطابة هي الإقناع، وهذا ما يؤكده قول الفارابي "الخطابة صناعة قياسيّة غرضها الإقناع[5].

---

[1] **خطب الحجاج بن يوسف الثقفي" دراسة أسلوبية"**، رسالة ماجستير، عبدالله ماهر السوسي، الجامعة الإسلامية، غزة، 2017، ص17

[2] **الخطابة**، أرسطو، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1959، ص 9

[3] **مفاتيح العلوم**، الرازي، تحقيق: نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1991، ص94

[4] **فن الخطابة**، أحمد الحوفي، دار الفكر العربي، ط4، ص5

[5] **الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)** لفريق من البحث في البلاغة والحجاج بإشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، تونس 1998، ص4

وفي كشاف اصطلاحات الفنون قال التهانوي:" الخطابة بالفتح التأثير بالبيان."[1] أما أبو هلال العسكري فقد أشار إلى شكل الخطبة في قوله:" وأعلم أنّ الرسائل والخطب متشاكلتان في أنّهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية."[2]

وتتمثل الخطابة في الكلام المنثور أو المسجوع أو المرسل الذي يقصد به التأثير على السامعين وإقناعهم بمدلوله.

ومن تعريفات المحدثين تعريف عبد الجليل عبده شلبي الذي عرّفها بأنّها في الأصل " فن أدبيّ يعتمد على القول الشّفويّ في الاتصال بالناس لإبلاغهم رأيا من الآراء حول مشكلة ذات طابع جماعي وبمعنى أشمل هي فن المخاطبة بطريقة إلقائيّة تشتمل على الإقناع والاستمالة".[3]

ولكل جنس أدبي عناصره، وتقوم الخطبة على بناء يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسة: المقدمة، والموضوع، والخاتمة. وعرّف الإمام محمد أبو زهرة بناء الخطبة بأنه:" تنظيم أجزاء الخطبة، وإحكام ترتيبها، وربط بعضها ببعض، ووضع أدلتها في شكل منتج." وتحدث النقاد العرب عن المقدمة تحت عناوين: حسن الابتداءات وبراعة الاستهلال، ودعوا إلى افتتاح الخطب بالتحميد والتمجيد والصلاة على نبي الله محمد وتوشيحها بآيات القرآن الكريم.

وقد تميّز الحجاج بن يوسف الثقفي بالمقدمات التي شذّت عن السنة المتبعة، ويرى شوقي ضيف في تمايز الخطبة التي ألقاها الحجاج عند توليه إمارة العراق بالمقدمة الشعرية أنها:" تصور فصاحته وبلاغته وحفظه للشعر الغريب، إذ اتخذه مقدمة لكلامه، وكأنما يجعله

---

[1] **كشاف اصطلاحات الفنون**، التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1963، ج750/1

[2] **الصناعتين**، أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1984، ص60

[3] **فن الإلقاء العربي: الخطابي والقضائي والتمثيلي**، فاروق سعيد، شركة الجلبي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1999، ص45

فاتحة موسيقية له وهي فاتحة يتبدّى فيها، ويطلب التشبه بالبدو لا في لغته فحسب، بل أيضا في ثيابه وملبسه، حتى يغرب على السامعين ويروعهم."[1]

وفي الموضوع يعرض الخطيب أفكار خطبته الرئيسة موضحا إياها بالشرح مستخدما أدوات الإقناع.

والخاتمة هي آخر ما يطرق الأسماع، ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام، ولذلك كانت العناية بها أجدر لتمكين أفكار الخطبة في النفوس، وقد تختتم الخطبة بتلخيص الأفكار، أو بآية قرآنية، أو بأبيات شعر تناسب موضوع الخطبة، وقد يكون الاختتام بالاستغفار والدعاء.

والخطيب يهتم بكل جزء من مبنى الخطبة على وجه الخصوص، وهذه الأجزاء تختلف بطرق الأدء.

3- منزلة الخطابة عند العرب

قسّم أرسطو أنواع الخطابة بحسب المتلقي؛ وقسمها البلاغيون العرب بحسب الموضوع إلى سياسيّة ودينيّة واجتماعيّة، والخُطَب المرتبطة ببناء الدولة كانت أول أمرها أميل إلى الخطابة الدينيّة لطبيعة الدعوة، وإنّما برزت معالم الخطابة السياسيّة أولا في الصراع حول الحكم، وظهرت بذورها الأولى يوم اجتماع سقيفة بني ساعدة.

والعناية بالأسلوب تحتل الصدارة في البلاغة العربيّة، ويعود ذلك إلى هيمنة الشعر وخوض الخطابة في الموضوعات الشعريّة؛ ولذلك يقال إنّ الخطابة العربيّة نشأت في محيط

---

[1] **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص82و83

شعري؛ ولم يوجد في البلاغة العربيّة تقنين "للنظام الذي ينبغي على الخطيب أنْ يتبعه عدا الإلحاح على الاستدلال الديني"[1]، وتضمين المقدمة ما يدل على الموضوع.

واحتلت الخطابة مكانة بارزة عند العرب؛ فهي عندهم فن أصيل؛ اعتمد عليها العرب قبل الإسلام وبعده في أمورهم العظيمة ومناسباتهم كافة، وعوّلوا عليها لتحقيق مآربهم بحد الكلمات، فاهتموا بأدق تفاصيل أدائها.

قال ابن وهب:" إنّ الخطابة مأخوذة من خطبت أخطب خطابة واشتق ذلك من الخَطْب والأمر الجليل لأنّه إنّما يقام بالخُطَب في الأمور التي تجلّ؛ والاسم منها خاطب مثل راحم فإذا جُعِل وصفا لازما قيل خطيب"[2].

وتتكون الخُطبة من مقدمة وعرض وخاتمة، ومن يُلقي الخطبة يسمى خطيبا؛ واشترط النقّاد القدماء أنْ تتوافر فيه صفات معينة منها الفصاحة والبلاغة والجرأة وحسن المظهر.

وتنقسم الخطب عند أرسطو إلى خطب استشاريّة وخطب قضائيّة وخطب احتفاليّة؛ أما عند العرب فقد قسمت إلى خُطَب سياسيّة وخُطَب دينيّة وخُطَب اجتماعيّة وخُطَب حربيّة. "والخُطَب تستعمل في إصلاح ذات البين، وإطفاء نار الحرب، وحماية الدماء، وتشييد الملك، والتأكيد للعهد، وفي عقد الإملاك، وفي الدعاء إلى الله، وفي الإشادة بالمناقب، ولكل ما أريد ذكره ونشره وشهرته في الناس."[3]

وقد اهتم العرب بالخطابة على مر العصور فتوافر لكل عصر خطباؤه وخطبه؛ فمن خُطباء العصر الجاهلي قس بن ساعدة الأيادي وخارجة بن سنان خطيب داحس والغبراء.كانت

---

[1] **في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا**، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص140

[2] **البرهان في وجوه البيان**، ابن وهب، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، بغداد ، ط1، 1967، ص192

[3] المصدر السابق، ص191

الخطابة في العصر الجاهلي تحظى بمكانة كمكانة الشعر، فهي كالشعر لسان الدفاع عن القوم، ووسيلة التحريض على القتال ونصرة الضعيف، ورسالة الملوك والأمراء الّتي يحافظون ببلاغتها على سلطانهم ونفوذهم. "وكان الخطيب زعيم قومه أو عالمهم أو شاعرهم أو حكيمهم."[1]

ويرى الجاحظ أنّ الخطيب الجاهلي أعلى رتبة من الشاعر، وفتح باباً يختصّ بالخطبة والخطابة والخطيب وفرّق بين ذلك، "حيث عبّر عن كلام العرب الجاهليين الّذي يحتوي على الدفاع عن أعراض القبيلة وعن كلام الخطيب الأموي الّذي يتحدث في السياسة الحزبيّة والعصبيات القبليّة بالخطابة، وعبّر عن كلام النبيّ – صلى الله عليه وسلّم– والخلفاء الراشدين بالخطبة ؛ لأنّها تبدأ بالحمد والمدح والبسملة وتكتنف الوعظ والتذكير الدينّي وتختم بالدعاء والسلام، خلافاً لما نشاهده في العصر الجاهليّ عامّة وفي العصر الأمويّ خاصة."[2]

وتُعدّ خطبة قس بن ساعدة من الخُطَب الشّهيرة في تراثنا العربيّ، إذ يقول فيها:" **أيها الناس، اسمعوا وعوا: من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت، ليل داج ونهار ساج، وسماء ذات أبراج ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا؟ يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه إن لله دينا هو أرضى له، وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه إنكم لتأتون من الأمر منكرا**"[3].

---

[1] **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، حنا الفاخوري، دار ذوي القربى، ط1، 2001، ج115/1

[2] ينظر: **البيان والتبيين**، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985، ج10/1

[3] **البيان والتبيين**، الجاحظ، ج91/1

وقد شهده الرسول ﷺ بسوق عكاظ يخطب على جمل أحمر،و"يُعدّ قس بن ساعدة أول من قال في خطبته أما بعد وتسمى فصل الخطاب لأنّها تفصل المقدّمة عن الموضوع."[1]

وخطب أبو طالب في زواج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة فقال:" **الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكام على الناس؛ ثم إن محمد بن عبد الله، ابن أخي، من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه براً وفضلاً، وكرماً وعقلاً، ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال قل، فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي.**"[2]وهذه الخطبة من أمثل نماذج خُطَب النكاح في العصر الجاهليّ.

ولما تولى أبو بكر الخلافة سنة 11هـ خطب على المنبر فقال:" **أيها الناس، إني قد وُلِّيتُ عليكم، ولستُ بخيركم، فإن رأيتُموني على حق فأَعينوني، وإن رأيتُموني على باطل فسدِّدوني. أَطيعوني ما أطعتُ اللّه فيكم، فإذا عصيتُه فلا طاعة لي عليكم. ألاَ إن أقواكم عندي الضَّعيفُ حتى آخذَ الحقَّ له، وأَضعفَكم عندي القوي حتى آخذَ الحق منه. أقول قولي هذا وأَستغفر اللّه لي ولكم.** "[3].

ولاهتمام العرب بالخطابة سمّوا مجموعة من الخطب بأسماء مخصوصة، يقول الجاحظ:" والخُطْبة التي لم تبدأ بالتحميد ولا تستفتح بالتمجيد تسمى البتراء، والعذراء هي خطبة قيس بن خارجة لأنه كان أبا عذرها، والخطبة التي لم توشح بالقرآن ولا تزيّن بالصلاة على النبي تسمى

---

[1] **تاريخ العرب قبل الإسلام**، نواف أحمد عبد الرحمن، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015، ص198

[2] **الكامل في اللغة والأدب**، المبرد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006، ج302/1

[3] **العقد الفريد**، ابن عبدربه، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1983، ج489/1

الشوهاء كخطبة سحبان وائل التي خطب بها عند معاوية، والعجوز هي الخُطْبة التي متى تكلموا فلا بُدّ لهم منها أو من بعضها."[1]

وتُعرَف في التراث خُطَب منها: خطبة الإمام علي كرم الله وجهه فقد ارتجل خطبة طويلة خالية من حرف الألف، وهناك خطبة تضمنت أسماء كل سور القرآن الكريم، وهناك خطبة ألقيت خالية من حرف الراء وهي خطبة لواصل بن عطاء[2].

وذمّت العرب الإرتاج في الخطب؛ أي استغلاق الكلام؛ قال الهذلي:

وَلا حَصِرٍ بِخُطْبَتِهِ إذا ما عَزَّتِ الخُطَبُ

وقال الآخر:

وَما بي مِنْ عِيّ وَلا أَنْطِقُ الخَنَا إذا جَمَعَ الأَقْوامَ في الخَطْبِ مَحْفَلُ[3]

وممن أرتج عليهم ما رواه الجاحظ قال: صعد عثمان بن عفان المنبر فأرتج عليه فقال:" **إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب**"[4].وخطب عبد الله بن عامر بالبصرة في يوم أضحى فأرتج عليه، فمكث ساعة ثم قال:" **والله لا أجمع عليكم عيا ولؤما، من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنها عليّ.**"[5]

4- السمات اللغويّة للخطبة:

1- تتنوع الخطب بين الإيجاز والإسهاب، حتى أنّ منها ما استغرق نصف نهار كخطبة سحبان وائل في حضرة معاوية حين حضر إليه وفد من خراسان،"فقال له تكلم: فقال:

---

[1] **البيان والتبيين**، الجاحظ، 103/1

[2] ينظر: **البيان والتبيين**، الجاحظ، ج6/1

[3] **المصدر السابق**، ج1/1

[4] المصدر السابق، 279/1

[5] **العقد الفريد**، ابن عبدربه، ج5/3

انظروا لي عصا تقوِّم من أودي، فقالوا: وما تصنع بها في حضرة أمير المؤمنين؟ قال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يديه، فضحك معاوية وقال: هاتوا عصاه فأخذها، ثم قام، فتكلم من صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تنحنح وما سعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقي عليه شيء فما زالت تلك حالته حتى أشار معاوية بيده فأشار إليه سحبان أن لا تقطع علي كلامي فقال معاوية الصلاة فقال: هي أمامك ونحن في صلاة وتحميد ووعد ووعيد فقال معاوية أنت أخطب العرب فقال سحبان: والعجم والإنس والجن."[1]

2- تختلف الخطب بحسب المقام الذي تقال فيه فخطب التوبيخ أو التهديد تتميز بغلظة الألفاظ وشدة العبارة واستخدام العبارات ذات الغلظة والجرس القوي حتى تثير الرهبة تجاه متلقيها؛ وأن لا يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة، ولا كلام الملوك مع السوقة، بل يعطي كل قوم من القول بمقدارهم ويزنهم وزنهم.

وفن الخطابة له أصول يتعلق بعضها بالخطيب، وبعضها بالخطب؛ "وأما ما يتعلق بالخطيب فالموهبة ورباطة الجأش وسلامة الصوت من العيوب وطول النَّفَس وحسن الوقفة وحسن استخدام الإشارة في موضعها المناسب. وأما الخطبة فبراعة الاستهلال والاستشهاد بالقرآن."[2]

ويمكن القول إنّ الخطابة عند الأقدمين تتمثل بما أورده محمد أبو زهرة إذ قال: "هي مجموع القوانين التي يعرف بها الدارس طرق التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات. وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات

---

[1] **جمهرة خطب العرب**، ج482/2

[2] **الخطابة تعريفها وأهميتها في الإسلام**، أمير بن محمد المدري، alukah>net، 2019.

المختلفة وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها وهو بهذا ينير الطريق أمام من عنده استعداد للخطابة ليربي مكانته وينمي استعداداته ويطلب لما عنده من عيوب ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه ليسير في الدرب ويسلك السبيل."[1]

وقد شهدت الخطابة تفاعلا كبيرا مع البلاغة فالخطابة هي نوع من القول والتخاطب، أما البلاغة فهي بُعدٌ أسلوبيّ لهذا القول.

5- العادات الخطابية العربية:

ظهرت تقاليد خطابيّة في العصر الجاهليّ عند الخطباء؛ وسار الخطباء عليها حتى أصبحت عادات متميزة في الخطابة العربيّة. ومن هذه العادات[2]: لبس العمامة والاشتمال بالثوب والاعتماد على مخصرة أو عصا أو قناة أو قوس أو وقوف الخطيب أثناء إلقاء الخطبة.

ونورد فيما يلي تفصيلا لبعض هذه العادات:

الاتكاء على العصي والقسي:فقد قال عبد الملك بن مروان: لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي، وقس بن ساعدة أول عربي خطب متوكئا على عصا،"وذكر الجاحظ أنّ من عاداتهم أخذ المخصرة بأيديهم وهي ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوه فلا يخطبون إلا بالمخاصر، وكانوا يعتمدون على الأرض بالقسي ويشيرون بالعصا والقنا ومنهم من كان يأخذ المخصرة في خطب السلم، والقِسِي في خطب الحروب."[3]

---

[1] **الخطابة (أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب)**، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1980، ص5

[2] ينظر: **البيان والتبيين**، الجاحظ، ج103/1

[3] **السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب**، إبراهيم السامرائي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1992، ص116

وأيضا فإنّ حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة، والتهيؤ للإطناب والإطالة وذلك شيء خاص في خطباء العرب ومقصور عليهم ومنسوب إليهم حتى إنّهم ليذهبون في حوائجهم والمخاصر بأيديهم؛ إلفا لها وتوقعا لبعض ما يوجب حملها والإشارة بها.

ويدل حمل العصا والمخصرة على التأهب للخطبة والتهيؤ للإطناب والإطالة وذلك كما يقول الجاحظ "شيء خاص من خطباء العرب ومقصور عليهم ومنسوب إليهم وإذا أشاروا بالعصي فكأنّهم قد وصلوا بأيديهم أيادي أخر". وطلب معاوية من سحبان وائل الكلام وكان قد ارتجله، فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة، فوزنها بيده، فلم تعجبه حتى أتوه بمخصرة من بيته.وقالوا:" أخطب بني تميم البَعيثُ إذا أخذ القناة فهزّها ثمَّ اعتمد بها على الأرض، ثمَّ رفَعَها."[1]

والقوس أداة من أدوات الحرب، "وكان الرسول يخطب قائما أو متوكئا على عصا وكان إذا خطب في الحرب خطب على قوس وفي الحديث كان إذا خطب بالمصلى تنكب على قوس أو عصا أي اتكأ عليها؛ وإذا كان موضوع الخطبة يتعلق بالقتال والجهاد؛فقد كان الاتكاء على قوس يشعر بجدية الموضوع لأنّها من أدوات القتال."[2]

والعمائم تيجان العرب وكانت العمامة من سمات الخطيب قال الجاحظ:" فعند العرب العمة وأخذ المخصرة من السيما وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء والذي لا بدّ منه العمة والمخصرة وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين طرفيه وربما قام فيهم وعليه عمامته وفي يده مخصرته وربما كان قضيبا وربما كان عصا وربما كان قناة."[3]

---

[1] **البيان والتبيين**، ج7/2

[2] ينظر: **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، ج485/20

[3] **البيان والتبيين**، الجاحظ، ج244/1 و245

ولم يكن الخلفاء يخطبون إلا وهم متعممون. وقد قيل: "اختصت العرب بالعمائم وبالدروع وبالشعر"[1]

الوقوف على مرتفع: كان من عادة الخطباء قديما أنْ يقفوا أو يعتلوا شيئا مرتفعا ليشرفوا على مستمعيهم؛ فيراهم هؤلاء ويتابعون أداءهم وحركاتهم مما يساعد على وقوعهم في شرك التأثير والاستمالة لأنّ حاستي السمع والبصر تكونان في هذه الحالة مأخوذتين بمرأى الخطيب وحركاته وبسماع صوته في تلونه وفي علوه وانخفاضه. واشتهر الخطباء العرب بالوقوف على نشز من الأرض ليخطبوا في الناس، وفي المجامع كانوا يخطبون على ظهور رواحلهم ويذكر أنّ النبي محمد ﷺ ألقى خطبته المعروفة بحجة الوداع وهو راكب ناقته القصواء. ويُلقي الخطيب عادة خطبته واقفا إلا خُطَب النكاح فإنّها تخطب من جلوس .

ويروى "أنّ أبا بكر الصديق نزل مرقاةمن مقعد النبيﷺ"[2] وقال: ما كان الله ليراني أهلا لموقف وقف فيه الرسول، وكذلك فعل عمر بن الخطاب.

وقد استحسنت في الخطيب العربي مجموعة من الصفات مثلما استقبحت أخرى. يقول الراغب الأصفهاني: يجب أنْ يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللَّحظ متخير اللفظ جهير الصوت"؛[3] فعابوا في الخطيب الثقل في اللسان قال عمر بن الخطاب في سهيل بن عمرو:" يا رسول الله انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبا أبدا" ومن غير المستحب أيضا كثرة التلفت. ويستجاد في الخطيب صوته الجهوري وحسن الوقع، ودقة في حركات الجسد، وسرعة

---

[1] **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ج346/1

[2] **عيون الأخبار**، ابن قتيبة، دارالكتب العلمية، بيروت، 1997، ج254/2

[3] **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، الراغب الأصفهاني، تحقيق: رياض عبد الحميد، دار صادر، بيروت، ط1، 2004، ج279/1

بديهة، ومعرفة بأحوال الجمهور، وقد صاحب الخطيب في بعض المراحل زي معين، كما أنّه كان يحمل في يده ما يوحي بالقوة والعظمة، و"يستحب في الخطيب حسن الإلقاء ويعاب عليه عيوب النطق من لجلجة ولثغة وما سواهما."[1]

وقد ذكر الجاحظ صفات للخطيب العربي نذكر منها:

الصوت: قال الجاحظ في جهارة الصوت:" وكانوا يمدحون جهير الصوت ويذمون ضئيل الصوت؛ ولذلك تشادقوا في الكلام، ومدحوا سعة الفم، وذموا صغر الفم". وفي سعة الفم التي تعين على تمييز مخارج الحروف، قال ابن وهب[2]:" كانوا يتعاطون سعة الأشداق وتبين مخارج الحروف ويمتدحون بذلك وبطول اللسان ويعدونها من آلات الخطابة قال الشاعر:

تَشادَقَ حتّى مالَ بالقَولِ شِدْقُه وَكُلُّ خَطيبٍ لا أَبا لَكَ أَشْدَقُ

وهناك عيوب ناتجة عن عدم سلامة النطق ولذلك اشترط في الخطيب "ألا يكون ألثغ، ولا فأفاء، ولا تمتاما، ولا ذا رثة، ولا ذا حبسة، ولا ذا لفف، فإنّ ذلك أجمع مما يذهب بهاء الكلام."[3]

اللسن والفصاحة قال أبو داود بن حريز: رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجماعها رواية الكلام وحليها الإعراب. **و**علم العرب بتجاربهم أنّ سعة الشدقين عون على اللسن فامتدحوها."قيل

---

[1]ينظر:**فن الخطابة ومهارات الخطيب**، إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2016، ص109 و110و111

[2]**البرهان في وجوه البيان**، ابن وهب، ص129

[3]المصدر السابق، 130

لأعرابي ما الجمال؟ فقال ورحب الشدقين وتكلم الخطباء عند معاوية فأحسنوا فقال: والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق قم يا زياد فتكلم."[1]

ومن نقص الخطيب أنْ يكون "بمنطقه عيب يعوق سهولة المخارج وسلامة الحروف واستواءها كالجلجلة والفأفأة والتمتمة واللثغة واللفف والحبسة والحكلة."[2]

واللثغ هو إبدال حرف حرفا والشائع منه إبدال الراء ياء أو غينا والغين أقل قبحا وهي كثيرة في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم، ومنهم: واصل بن عطاء فكان "أحد الأئمة البلغاء المتكلمين وكان يلثغ بالراء ويجعلها غينا."[3]

اللباس المناسب: الزي المناسب يعزز الثقة بالنفس؛ وكان العرب يلبسون العمائم ويفخمون منظرهم إذا ما خطبوا، وكان من عادة الخطباء "أنْ يلبسوا الملحفة أو الجبة أو القميص أما النقاد فقد اشترطوا وضع العمة."[4]

روى الجاحظ أنّ "إياس بن معاوية المزني أتى حلقة لقريش في مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميما رث الهيئة قشيفا فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا: الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك"[5].

ومعاوية حين نظر إلى النخار بن أوس العذري الخطيب الناسب في ناحية من مجلسه فأنكره وأنكر مكانه زراية به، وقال: من هذا؟ فقال النخار: يا أمير المؤمنين إنّ العباءة لا تكلمك إنّما يكلمك من فيها"[6].

---

[1] **البيان والتبيين**، الجاحظ، ج79/1

[2] ينظر: **فن الخطابة ومهارات الخطيب**، إسماعيل علي محمد،ص109 و110و111

[3] **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1990، ص17

[4] **فن الخطابة**، أحمد الحوفي، ص 44

[5] **البيان والتبيين**، 31/1

[6] **الكامل في اللغة والأدب**، 153/1

فاللباس لغة نتواصل بها في حياتنا دون أنْ نتكلم، وقد تفصح عن شيء من الشخصية و"تعد نظاما في علم العلامات اهتم به رولان بارت في كتابه "أنظمة الموضة" وينقسم اللباسعنده إلى وجه اجتماعي هو الملابس ووجه فردي هو الكساء والملابس تتعلق بعناصر مجردة مثل القياسات والأشكال والألوان والكساء وتتعلق بعناصر فردية بما في ذلك القياس ودرجة العناية بالملبس واختيار الألوان."[1]

قال الجاحظ:" كان الكاهن لا يلبس المصبّغ، والعراف لا يدع تذييل قميصه وسحب ردائه والحكم لا يفارق الوبر وكان لحرائر النساء زي ولكل مملوك زي ولذوات الرايات زي وللإماء زي وكان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة ولكل قوم زي فللقضاة زي، ولأصحاب القضاة زي، وللشرط زي، وللكتاب زي، ولكتاب الجند زي."[2]

[1] **شيء من سيميائيات اللباس عند العرب**، توفيق قريرة، 2017، www.alguds.co.uk

[2] **البيان والتبيين**، 246/1

ثالثا: أخبار الحجّاج بن يوسف الثقفي

علم من أعلام الخطابة في العصر الأمويّ، وأحد أشهر ولاة بني أمية، ومن أكثر الشخصيات العربيّة التي دار حولها الجدل، وكَثُرت حولها الروايات المتناقضة سلبا وإيجابا. ولا يخلو كتاب تاريخ من التعريف به والتطرق لأخباره، ولعل من أكثر ما عُرف به هو جرأته في القتل؛ كما عرف ببلاغته وفصاحته، وهو من الخطباء الذين كانت لهم ثقافة أدبية واسعة قائمة على حفظ جيد الاشعار والأمثال مع حفظ القرآن والحديث، وفيما يلي تعريف به:

هو "الحجّاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف[1]، ويقال: إنّ اسمه كان كليبا ثم غيّره إلى الحجّاج، وينتهي نسبه إلى "قبيلة ثقيف التي سكنت الطائف."[2]

ولد الحجّاج سنة 41هـ بالطائف ومات سنة 95هـ ودفن بمدينة واسط التي بناها[3]، "وقد نشأ نشأة إسلامية في الطائف، وشبّ في خلافة معاوية وعرف ما كانت تقوم عليه من دهاء وعنف، وشهد شدة زياد وقسوته، وكأنه أحبّ زيادا فتمثل به فنشأ بعيد المطامع والأمل، جريئا شديدا لا يتردد"[4]؛ فطموحه البعيد جعله يترك مهنة التعليم وهو القائد المطبوع المفطور على حب القتال والولع بالحرب[5] ليبدأ طريقه في مضمار السياسة والحكم، " فقد بدأ اتصاله بالحكم منذ عمل

---

[1] **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994، ج29/2

[2] **الحجّاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه**، محمود زياة، دار السلام، ط6، 2008، ص11

[3] **أدب السياسة في العصر الأموي**، أحمد الحوفي، دار نهضة مصر ، القاهرة، ط3، 1969، ص545

[4] **أدب العرب**، مارون عبود، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1979، ص167

[5] **الحجّاج حياته وخطابته**، علي حسين، مطابع الدار القومية، مصر، ص25

في شرطة روح بن زنباع، مستشار عبد الملك بن مروان، ثم اتصل بعبدالملك إذ قلّده أمر عسكره، ثم ولّاه تبالة من أعمال اليمن فاستهان بها واستعفي من ولايتها فأعفاه"[1].

أما والده فهو يوسف بن الحكم، وكان من أشراف المعلمين بالطائف وكان ذا وجاهة عند الخليفة الأمويّ[2].

ووالدته هي الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفيّ وكانت تحت المغيرة بن شعبة ويروى أنه طلقها لأنه دخل عليها وقت السحر فوجدها تتخلل* فبعث إليها بطلاقها[3]. وعروة بن مسعود جَدّ الحجّاج لأمه هو عظيم القريتين الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ٣١﴾[4]

ولذلك يروون أنّ الحجّاج كان يقول:" أنا ابن الأشياخ من ثقيف، والعقائل من قريش."

قال أحد الشعراء يهجو الحجّاج ويتهمه بنسيان الفقر عندما كان معلما للصبيان بالطائف يأكل متفرق الرغيف منهم:

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الأزهر[5]

وقال مالك بن الريب يهجوه[6]:

فماذا عسى الحجّاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد

---

[1] **العقد الفريد**، ابن عبدربه،ج14/5

[2] ينظر: **العقدالفريد**، ابن عبدربه تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج203/2

*تخليل الأسنان: إخراج ما بها من فضلات

[3] ينظر: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، المسعودي،ج113/3

4 سورة الزخرف:31

[5] **الكامل في اللغة والأدب**، المبرد، ج79/2

[6] **العقدالفريد**، ابن عبدربه، ج203/2

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبدا من عبيد إياد

زمان هو العبد المقر بذلة يروح صبيان القرى ويغادي

وقد اشتهر الحجّاج وبان أمره حينما حاصر مكة ورماها بالمنجنيق سنة 73هـ وقتل ابن الزبير في الحرم المكي، " وإذا كان الحجّاج قد جاوز الحدّ في حربه لابن الزبير بمكة فقد توصل إلى النتيجة التي أرادها منه عبد الملك، وإلى النتيجة التي أرادها هو ثمنا لرضا عبد الملك فإنه قد فعل ذلك منه بالعراق"[1] واستطاع أن يقضي على ثورة عبد الله بن الزبير وقتله؛"فمنذ ذلك الوقت برز كقائد عسكري يتولى المهام التي يعجز عنها غيره من كبار القادة في الحزب الأموي."[2]

وبعد النجاح الذي حققه كافأه عبد الملك بتوليته على الحجاز ومكث ثلاث سنين "فاستصغر الحجاز وطمع في غيره وكتب إلى عبد الملك يقول:(قد حزت الحجاز بشمالي، وبقيت يميني فارغة) فولّاه عبد الملك على العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة."[3]

اختار عبد الملك الحجّاج لولاية العراق سنة 75هـ؛ واستمرت ولايته مدة تقارب العشرين عاما. روى ابن الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:" لما اشتدت شوكة أهل العراق وطال وثوبهم بالولاة يحصبونهم ويقصرون بهم أمر عبد الملك، فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخطبهم، ثم قال: أيها الناس، إن العراق قد علا لهيبها، وسطع وميضها، وعظم الخطب فيها، فجمرها ذكي وشهابها وري، فهل من رجل ينتدب لهم ذي سلاح عتيد، وقلب شديد، فيخمد نيرانها، ويبيد شبانها، فسكت الناس، فوثب الحجاج بن يوسف، وقال: أنا يا أمير

---

[1] **أدب السياسة**، أحمد الحوفي، 549 و550

[2] **جماليات التشكيل في النص الخطابي عند الحجّاج بن يوسف الثقفي**، رسالة ماجستير ، سليم بوزيدي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010، ص27

[3] **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1985، ج132/4

المؤمنين، قال: ومن أنت؟ قال: الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم القريتين، قال له: اجلس فلست هناك، ثم أطرق عبد الملك مليا، ثم رفع رأسه، وقال: من للعراق؟ فسكت الناس، فوثب الحجاج وقال: أنا يا أمير المؤمنين، قال: ومن أين أنت؟ قال : من قوم رغبت في مناكحتهم قريش ولم يتأبوا منهم، وإعادة الكلام مما ينسب صاحبه إلى العي، ولولا ذلك لأعدت الكلام الأول، فقال له: اجلس فلست هناك. ثم أطرق عبد الملك ملياً ورفع رأسه وقال: من لأهل العراق؟ فسكت الناس، فوثب الحجاج فقال: أنا للعراق، يا أمير المؤمنين، قال: وما الذي أعددت لأهل العراق؟ قال: ألبس لهم جلد النمر، ثم أخوض الغمرات، وأقتحم الهلكات، فمن نازعني طلبته، ومن لحقته قتلته بعجلة وريث، وتبسم وازورار، وطلاقة واكفهرار، ورفق وجفاء، وصلة وحرمان، فإن استقاموا كنت لهم ولياً حفياً، وإن خالفوا لم أبق منهم أحداً، فهذا ما أعددت لهم يا أمير المؤمنين، ولا عليك أن تجربني، فإن كنت للطلى قطاعاً وللأرواح نزاعاً، وللأموال جماعاً، وإلا فاستبدل بي فإن الرجال كثير. فقال عبد الملك: أنت لها، ثم التفت إلى كاتبه، وقال: اكتب عهده، ولا تؤخره، واعطه من الرجال والكراع والأموال ما سأل"[1].

وكان الحجّاج يشكو سوء طاعة أهل العراق فقال له جامع:" أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شنؤوك لنسبك ولا لذات نفسك فدع عنك ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك. قال الحجّاج: ما أرى أن أرد بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف."[2]

---

[1] **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ج6/ 150

[2] **العقدالفريد**، ج148/1

ويعلل ابن كثير قسوة الحجاج على أهل العراق بقوله:" وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة، وخذلانهم لهم، وعصيانهم، ومخالفتهم، والافتيات عليهم"[1].

لعب الحجّاج دورا بارزا في التاريخ العربي الإسلامي بوجه عام، وتاريخ الدولة الأموية بشكل خاص؛ ومما قيل في شخصيته "تشبّه زياد بعمر فأفرط وتشبّه الحجّاج بزياد فأهلك الناس"[2].

ويعد الحجّاج من فصحاء العرب ودُهاتهم؛ قال الجاحظ:" زعم أصحابنا البصريون عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال: لم أرَ قرويين أفصح من الحسن والحجّاج"[3]. وللحجّاج عناية بالقرآن الكريم؛ وقال ابن كثير: نشأ الحجاج شابا لبيبا فصيحا بليغا حافظا للقرآن" وقال بعض المؤرخين: كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة؛ روى ابن خلكان أنّه كان يقرأ القرآن ويختمه كل ثلاث ليال"[4]، ومما أُثِرَ عنه أنه قام بنقط المصحف الشريف بعد أنْ رأى الناس تلحن فيه وأنه طلب ذلك من نصر بن عاصم. " كما كان يدني ويقرب من يحفظ القرآن ... وكان يجمع الحفّاظ والقرّاء، ويتذكر معهم في القرآن وأجزائه"، وتذكر الأخبار أنّ عمر بن عبد العزيز يغبط الحجاج على حبه للقرآن وتقديمه العطايا لأهله[5].

من الجوانب المميزة في شخصية الحجاج بن يوسف قدرته البيانية الفائقة التي تجلت بشكل خاص في خطبه التي روتها لنا كتب التراث العربي بحيث كانت هذه الصفة واحدة من

---

[1] **البداية والنهاية**، ابن كثير،دار أبي حيان، القاهرة، ط1، 1996 ج158/9

[2] **البيان والتبيين**، الجاحظ، ج140/1

[3] السابق، ج51/1

[4] **وفياتالأعيان**، ابن خلكان، ج2 /32

[5] ينظر: **الحجاج بن يوسف الثقفي، مواقف من حياته (دماء وعطاء)**، المَدَري،د.ن، ص 90

الأدوات المهمة التي مكنته من الاسهام بدور فاعل في تثبيت كم البيت الأموي والقضاء على خصومهم السياسيين والعسكريين في ذلك الزمن.

كانت الخطابة من أخص خصائص الأمير في العصر الأموي وقد رويت للحجاج مجموعة من الخطب السياسية والوعظية، وتعد خطبته عند توليه إمارة الكوفة من أبلغ خطبه وأكثرها شهرة، وقد افتتحها بقول سحيم بن وثيل الرياحي[1]:

أنا ابنُ جَلا وطَلّاعُ الثّنايا متى أَضَعِ العِمامَة تَعْرِفوني

شهد له الكثير من الدارسين بفصاحته وبلاغته وهو الشخصية الخطابية الأكثر بروزا وإجادة في العصر الأموي فهو أحد كبار الخطباء والقادة السِّياسيين في هذا العصر. ولأسباب سياسية عملت على نشأة الخطاب العنيف عند الحجّاج وقد شكلت المعاني الترهيبية حيزا كبيرا في هذه الخطب.

أورد الجاحظ قول صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال:" ما رأيت عقول الناس إلا قريبا من بعضها بعضا إلا ما كان من الحجّاج وإياس بن معاوية فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس"[2].

ومما ذكر عنه أنّه كان قليل الضحك؛ ويقال:" كان الحجّاج إذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار، وكان إذا صعد المنبر تلفع بمطرفه ثم تكلّم رويدا فلا يكاد يسمع، ثم يتزيد في الكلام، حتى يخرج يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى من في المسجد".[3]

---

[1] **جمهرة خطب العرب**، أحمد زكي صفوت، ج2/ 288

[2] **البيان والتبيين**، الجاحظ، ج275/1

[3] **الكامل في اللّغة والأدب**، المبرد، ج180/1

كان كريما فياضا وروي عنه أنه كان يقول:" أيها الناس رسولي إليكم الشمس إذا طلعت فأغدوا على غدائكم وإذا غربت فروحوا إلى عشائكم."[1]

قالت ليلى الأخيلية تمدحه[2]:

أحجّاج لا يفلل سلاحك إنها المنايا بكف الله حيث تراها

أحجّاج لا تعطي العصاة مناهم ولا الله يعطي للعصاة مناها

إذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاه

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هزَّ القناة سقاها

توفي الحجاج يوم الجمعة، لتسع بقين من رمضان، سنة خمس وتسعين للهجرة، وقيل: مات في شوال وهو ابن اربع وخمسين سنة، وقيل: ثلاث وخمسين سنة،" ولما مات الحجّاج لم يعلم بموته حتى أشرفت جارية فبكت فقالت: ألا إن مطعم الطعام، ومفلق الهام، وسيد أهل الشام قد مات ثم أنشأت تقول[3]:

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم يأمننا من كان يخشانا

---

[1] **الوافي بالوفيات**، الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000، ج241/11و242

[2] **الأمالي**، القالي، عني بوضعه وترتيبه محمد الأصمعي، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1926، ج86/1

[3] **مختصر تاريخ دمشق**، ابن منظور، دار الفكر، بيروت، ط1، 1984، ص231

الفصل الأول

المبحث الأول

ألفاظ العنف في خطب الحجاج، دراسة معجمية صرفية

تُعدّ اللّغة ظاهرة اجتماعية شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلّمها، ويطلق على العلم الذي يدرس اللّغة في علاقتها بالمجتمع علم اللّغة الاجتماعي؛ وهو أحد فروع علم اللّغة التطبيقيّ. ويرتبط ظهور هذا العلم بالاتجاه الوظيفي الاجتماعي الذي يعود إلى رائده فيرث الذي تأثر في آرائه بعالم الاجتماع الانثروبولوجي مالينوفسكي الذي دعا إلى دراسة الكلام الحي.

وقرر مالينوفسكي أنّ اللّغة أداة للنشاط الاجتماعيّ والتعاون المشترك ومعنى أي منطوق في عدد من المواقف الخاصة أنْ ندرس تأثيره في محيطه، ولهذا قرّر غير مرة أنّ المعنى هو الاستعمال.

وساهم هذا الاتجاه الذي يطالب بدراسة اللّغة مرتبطة بسياقاتها في تطوير الدّرس اللّسانيّ وانفتاحه على العلوم المجاورة؛ فظهر علم اللّغة الاجتماعي، وعلم اللّغة النّفسي، وعلم اللّغة السّياسي وغيرها من الفروع.

استخدم الحجّاج آليات وتقنيات من أجل تحقيق مقصده مستفيدا من طاقات اللغة.

- **خطبة الحجّاج حين ولي العراق**

إنّ الذي قاد بني أمية لتسليط الحجّاج على أهل العراق ما عُرف عنهم من قلة الطاعة والشقاق على أولي الرئاسة، وهذا الطبع فيهم قبل الإسلام؛ يروى أنّ رجلا جاء إلى الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يخبره" أنّ أهل العراق قد حصبوا أميرهم، فخرج غضبان فصلّى لنا الصلاة فسها فيها حتى جعل الناس يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فلمّا سلّم أقبل على

الناس فقال: من ههنا من أهل الشام؟ فقام رجل ثم قام آخر، ثم قمت أنا ثالثا أو رابعا، فقال: يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق، فإنّ الشيطان قد باض فيهم وفرّخ، اللّهم إنّهم قد لبسوا عليّ فألبس عليهم بالغلام الثقفيّ يحكم فيهم بحكم أهل الجاهلية، لا يقبل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مسيئهم".[1]

ولعل العراق كان أكبر الأقاليم الإسلامية ميدانا للحروب والفتن في مهد الدولة الأموية فمنذ مقتل عثمان وهو مشتعل، و"كانت الخلافة أول مسألة اشتد فيها الخلاف بين المسلمين، وتشعبت آراؤهم، وتكوّن حولها أهم الفرق الإسلامية في العصر الأول؛ وهم: الخوارج والشيعة والمرجئة."[2]

والخلاف بدأ في تاريخنا سياسيا حول الإمامة؛ ولا زال يقول أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين:" وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم اختلافهم في الإمامة"[3].

أورد المبرد في الكامل عن عبد الملك بن عمير الليثي قال: "بينا نحن في المسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، إذ أتى آت فقال: هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق، فإذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطّى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا، يؤم المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبّح الله بني أمية، حيث

---

[1] **البداية والنهاية**، ابن كثير، ج91/6

[2] **فجر الإسلام**، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، 1969، ص273

[3] **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، الأشعري، ج39/1

تستعمل مثل هذا على العراق! حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقالوا: أمهل حتى ننظر، فلما رأى عيون الناس إليه، حسر اللثام عن فيه، ونهض، فقال:..."[1]

مما فعله الحجّاج في دخوله على الهيئة التي وصفت وصعوده المنبر يتضح أنّ الحجّاج كان موفقا في سياسته من أول يوم دخل فيه العراق، فقد عمد إلى نوع من التأثير النفسي جذب به انتباه القوم لتلك النغمة القوية التي أعدها لهذا الموقف، بل نجح في أنْ أثار عند بعضهم نوعا من الاستخفاف والزراية ببني أمية لاختيار مثله واليا على العراق حتى إذا بلغ الاستغراب والتهيؤ من الناس مبلغه حسر اللثام عن وجهه، ثم تكلّم، فملأ القلوب والأسماع دويا ورنينا.

تنتمي هذه الخُطبة إلى خُطب التولية، وهذا النوع من الخُطب يلقيه الحاكم عند توليه الحكم لبيان الطريقة التي سيسير عليها في حكم الناس؛ وقد لقيت هذه الخطبة أهمية فأوردتها العديد من الكتب لأهمية القائل، وأهمية الموضوع، وقد تولّى الحجّاج العراق سنة خمس وسبعين للهجرة.

ولعل العلاقة بين الخطيب والجمهور هنا تبدو جديدة وعلى درجة من الخصوصية والتغاير أيضا؛ فهي علاقة عدوانيّة. ويبدو الأمر أمر تحدٍّ وتهذيب وتخويف وتأديب للعصاة والخارجين على الخليفة، والوالي هنا هو نائب الخليفة وقائده الذي أسندت إليه مهمة التأديب تلك فكأنما قصد إلى تخويف جمهوره من خلال طبيعة حواره معهم على ذلك النحو الذي اصطنعه الحجاج منذ صعد المنبر، ثمّ كشف اللثام عن وجهه وأبان عن شخصيته.

يهدف الحجّاج بتوجيه خطابه هذا إلى استمالة المتلقي والتأثير فيه، وإقناعه بأفكاره ومواقفه، وذلك بين استحضار النصوص القرآنية، والأبيات الشعرية، وهذه الأنواع من النصوص تشكل الخلفية الثقافية المشتركة بين الخطيب وأهل الكوفة.

---

[1] **جمهرة خطب العرب**، ج2/ 288

تُعدّ هذه الخطبة من أشهر خطب الحجّاج، ألقاها حين ولاه عبد الملك بن مروان إمارة العراق، وقد افتتحها بمقدمة شعرية مخالفا ما كانت العرب قد سنته من افتتاح الخطب بحمد الله والصلاة على رسول الله؛ وتطلق العرب على الخطبة التي لا تفتتح بحمد الله الخطبة البتراء؛ وإنْ كانت هذه التسمية تنصرف أول ما تنصرف إلى خطبة زياد بن أبيه.

افتتح الحجّاج الخطبة بقوله سحيم[1]:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

إنّ أول ما يلفت الانتباه هو غياب البسملة واستبدالبيت شعري بها، وهذا الشعر ليس له، وإنّما لسحيم بن وثيل الرياحي قاله الحجّاج متمثلا.

وكان الحجاج بارعاً في استهلال خطبته حيث بدأ بداية قوية تظهر بأسه وشدته وملاءمته للولاية في بلد هذا حاله، يحتاج إلى الشدة والقوة. وكان هذا الاستهلال مناسباً للحال إذ كان ملثماً ثم أماط اللثام.

استبدل المرسل (الخطيب) بالبسملة والحمدلة ملفوظا شعرياللشاعر "سحيم بن وثيل الرياحي" وقد وظفه "المخاطِب" توظيفا أكسبه قوة لم تكن للغته وحدها، ولم تكن لمرسله الأصلي؛ وذلك عائد إلى مرجع الأداة اللغوية، وهذه الأداة هي إشارية الذات؛ ضمير المتكلم "أنا" التي تحتل صدر الخطاب (البيت)، فتصبح هي بؤرة الخطاب التي تتفرع عنها بقية عناصره أو صفاته.

ويمكن استنتاج الكثير من مقارنة هذه الخطبةبالخطبة البتراء لزياد بن أبيه ونكتفي بمطلعها، إذ حذف منها الاستهلال وبدأها بقوله: أما بعد فإن الجهالة الجهلاء..

[1] **جمهرة خطب العرب**، ج288/2

وهذا البيت الشعري يضرب للظاهر الذي لا يخفى، وفيه تحل (أنا) الحجاج محل (ابن جلا الليثي) وقد سُمّي بذلك؛"لوضوح أمره حيث كان صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنية الجبل."[1]

وفي الفعل جلا معان لغوية عديدة أهمها الكشف والإظهار والبيان؛ وقد يستعمل اللّفظ مجازا للدلالة على القوة والشجاعة وهو ما له صلة بمقام الخطبة وبشخصية الخطيب.

وهكذا يمتلئ البيت بالإيحاء الذي يُعلن فيه الخطيب عن منهجه السياسي القائم على قطع الأعناق وتعفير الوجوه واللحى بالدماء؛ فقد هدّد الحجّاج في خطبته العراقيين محذرا من أمراض الفتنة التي أعيتهم؛ فجاءت أزمان أفعال الخطبة تنبئ بانتهاء حقبة زمنية اعتاد الناس فيها على إساءة الأدب مع الأمير المتهاون وبدء حقبة جديدة عنوانها السياسة الحازمة.

ويتابع الحجّاج خطبته فيقول:" **أما والله إنّي لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإنّي لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإنّي لصاحبها...**"[2]

أورد مفردات تنتمي إلى التهديد والوعيد مثل (لأحمل، الشر، أحذوه)، ولا يكاد يخلو هذا الحقل من معاني القتل والإرهاب؛ فالدم يقطر منه وشرارات الغضب تتطاير من هذه اللّغة العنيفة.

وظَف الحجاج في هذه الجملة الوحدات اللسانية (الدماء، العمائم، اللحي) التي تحمل دلالة مادية (فالدماء) توحي إلى الموت و(العمائم) دلالة على الحرب، أما اللحي (دلالة على جنس الرجال).

---

[1] **لسان العرب**، مادة "جلا"

[2] **جمهرة خطب العرب**، ص289

إنّ استخدام صيغة الفعل الماضي" **حان قطافها**" يجعل فعل التهديد كأنّه حقيقة واقعة ويجعل فعل الوعيد كأنّه فعل منجز.

هذا أَوانُ الشَّدِّ فاشْتَدي زِيَم قَد لَفّها اللّيلُ بِسوّاقٍ حُطَم

ليس براعي إبل ولاغنم ولا بجزّار على ظهرٍ وَضَم

ثم قال: قد لفّها الليل بعصلبيّ أروعَ خرّاجٍ مِنَ الدّويّ

مهاجرٍ ليس بأعرابيّ

ثم قال: قَدْ شمّرتْ عن ساقها فشُدوا وجدّت الحربُ بكم فجدّوا

والقوس فيها وَتَر عُرُدُ مثلُ ذراعِ البَكْرِ أو أشُدُّ

لا بُدَّ مما ليس منه بُدُّ[1]

أما المقطع الثالث الذي ورد شعرا فإنّه يستوقفنا من جهة بنيته الإيقاعية كونه جاء من الرجز، ومعروف عنه أنّه ينشد في الحرب والمعارك؛ وأمّا دلالته فكل الألفاظ التي وردت فيه تدلّ في أصلها اللّغوي على الشدة والمبالغة:

من ذلك لفظة "زيم" وقيل هو اسم فرس أو ناقة وقيل اسم للحرب. وقوله " سوّاق حُطَم" والحُطَم هو الراعي الظلوم للماشية يهشم بعضها ببعض. "والعصْلبي" هو الشديد القوي.

علّق محمد العمري على هذه الأبيات قائلا:" وتنقلنا الشواهد الشعرية المختلفة إلى عالم الرحلة الشاقة المضنية في الصحراء حيث يدفع السوّاق الحطم أي الحجّاج نفسه الإبلَ أهل الكوفة بالتحديد في مجاهل الصحراء بدون شفقة وهي أبيات تعلن الحرب على أهل الكوفة."[2]

---

[1] **جمهرة خطب العرب**، ص289

[2] **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، محمد العمري، ص107

يقول الحجّاج:" **أما والله لألحونّكم لحو العصا، ولأقرعنّكم قرع المروة، ولأعصبنّكم عصب السلمة، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل...**"[1]

يلتزم الحجّاج بإيقاع عقوبة " اللحو" بفعل يتضمن التهديد وتنفيذ الوعيد من خلال تحقق شرط الاستعلاء والسلطة؛ فمكانته الاجتماعية والسياسية هي من خولته لإصدار أفعال التهديد.

ولحا العصا: قشّرها، وهنا يعلن الحجّاج أنّه سيزيل الجلد عن أجسامهم كما تزال القشرة عن العصا، وهذا تصوير للتهديد في أشد قسوته.

وعن قوله "لأعصبنّكم" قال الجاحظ في البيان والتبيين:" لأنّ الأشجار تعصب أغصانها، ثم تخبط بالعصي لسقوط الورق وهشيم العيدان"[2]

والملاحظ على الحجّاج أنّه يستخدم صيغة الفعل المسبوق بالقسم والمؤكد بنون التوكيد الثقيلة. وفي استخدامها زيادة في المعنى وهو يشدد على تهديده ويؤكد حقيقة وقوعه؛ فهي لاحقة صرفية تدخل على الفعل بغية تقوية المعنى ودعم الدّلالة،ويذهب اللّغويون إلى أنّ التوكيد بالثقيلة أشد وأبلغ من التوكيد بالخفيفة؛ قال الخليل:" فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكد، وإنْ جئت بالثقيلة فأنت أشد توكيدا"[3].. وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

وأما قوله "لأضربنّكم ضرب غرائب الإبل"فقد جاء في لسان العرب:" الضرب معروف، والضرب مصدر ضربته؛ وضربه يضربه ضربا وضرّبه ورجل ضارب وضروب وضريب وضرب ومضرب بكسر الميم شديد الضرب أو كثير الضرب..."[4]

---

[1] **جمهرة خطب العرب**، ص290

[2] **البيان والتبيين**، الجاحظ، 21/3

[3] **الكتاب**، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ج568/3

[4] **لسان العرب**، مادة " ض ر ب "

وهو يقول بأنّه سيضربهم ضرب غرائب الإبل قال الجاحظ:" وهي تضرب عند الهرب وعند الخلاط، وعند الحوض أشد الضرب."[1]

وفي مجمع الأمثال: أنّ الغريبة تزدحم على الحياض عند الورد وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله قال أبو القاسم: تقول العرب في كلامها لأضربنّك ضرب غرائب الإبل ولأعصبنّك عصب السلمة وإنّما ذكر المتنبي الغرائب لأنّها تضرب أشد الضرب وتذاد أعنف الذود كما قال الحارث بن حلزة:

فَجْئنا بِهِم قَسْرا تَقود سَراتُهم كما ذِيدَ عن ماءِ الحِياضِ الغرائِبُ[2]

ويختتم الحجّاج خطبته بقوله:" **أما والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده، وإنّ أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه وأنهبت ماله وهدمت منزله**"[3].

يستخدم الحجاج التهديد في قالب إسناد الفعل إلى تاء المتكلم، حيث هدّد بثلاثة أفعال هي: السفك والنهب والهدم؛ وهي تحمل في معانيها اللّغوية دلالات العنف والشدة.

فالسفك: شدة إراقة الدماء؛ودلالتها توحي بالقسوة والشدة في العقاب وفي لسان العرب:" سفك الدم والدمع يسفكه سفكا فهو مسفوك وسفيك وكأنه بالدم أخص. وفي الحديث: أنْ يسفكوا دماءهم" وقال تعالى:قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ أي "يريقها ظلما وعدوانا."[4]

---

[1] **البيان والتبيين**، الجاحظ، 7/3

[2] **البيان والتبيين**، ج235/1

[3] **جمهرة خطب العرب**، ص291

[4] **القاموس المحيط**، مادة " س ف ك"

و**نهب** في اللّغة وانتهب الفعل المزيد عليه، و"النهب الغنيمة وفي الحديث: فأتي بنهب أي بغنيمة والانتهاب أن يأخذه من شاء والإنهاب إباحته لمن شاء؛ ونهب النهب ينهبه نهبا وانتهبه أخذه وأنهبه غيره عرّضه له يقال: أنهب الرجل ماله فانتهبوه ونهبوه وناهبوه."[1]

ويستخدم الحجّاج هدم البيت وسيلة للعقاب وهو ما له تأثيرات صادمة كبيرة على أصحابه.

وأماعبارة "**شغلا في جسده**" فهي تعبر عن دلالة مادية يجسد فيها نوع العقاب، وهي دلالة على شدة هذا العقاب وقسوته.

اتضحت من خطبة الحجّاج هذه خطته السياسية، فهو أولا أبان لهم عن شخصيته القوية بعد أن أثار قدومه دهشتهم واستغرابهم وأفصح لهم عن أنه لا يعوقه عن قصده شيء مهما صعب المرتقى، وهو كذلك يعرف أنهم مغمورون في الشر، وأنهم يستحقون القتل، وهو قوي ولا يخافهم، وأنّ أمير المؤمنين ما عهد إليه بالعراق إلا بعد أنْ جربه فوجده صلبا لا يلين ولا يكسر. وأخيرا أعلن لهم أنّه سيعطيهم أعطياته ويوجههم لمحاربة العدو، ومن يتخلف سيسفك دمه، وينهب ماله، ويهدم منزله.

بعد فراغ الحجّاج من خطبته التي رسم فيها سياسته، وتورد الروايات بعض المواقف التي ألحقت هذه الخطبة ومنها؛ أنّ الحجّاج قال: يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين. فقرأ:

" بسم الله الرحمن الرحيم: من عبدالله عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين. سلام عليكم" فلم يقل أحد منهم شيئا فقال الحجاج: اكفف يا غلام، ثم أقبل على الناس، فقال: أسلّم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئا هذا أدب ابن نهية، أما والله لأؤدبنّكم غير هذا

[1] **لسان العرب**، مادة " ن هـ ب "

الأدب أو تستقيمن. اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين، فلما بلغ إلى قوله: سلام عليكم لم يبق في المسجد أحد إلا وقال: وعلى أمير المؤمنين السلام."[1]

وتظل العلاقة بين الحجّاج وأهل العراق يشوبها العداء؛ فقد وردت روايات كثيرة تتحدث عن هذه العلاقة جاء في كتاب زهر الآداب :

" شكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق، وسقم مذهبهم، وسخط طريقتهم، فقال له جامع المحاربي: أما إنّهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنّهم ما شنؤوك لبلدك، ولا لذات يدك، إلا لما نقموه من أفعالك، فدع ما يبعدهم عنك إلى ما يدنيهم منك، والتمس العافية ممن دونك، تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك ثلاثا، فقال له الحجاج: والله ما أرد بني اللخناء إلى طاعتي إلا بالسيف."[2]

وفي كتاب العقد الفريد لابن عبدربه أورد تحت عنوان توقيعات الحجاج بن يوسف في كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم، وما يقاسي من مداراتهم، قال:" ما ظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه؟"[3]

ولبلاغة الحجاج وظيفة فاعلة في نجاح مهمته السياسية لإرساء الأمن في العراق والقضاء على الفتن التي كانت فيها وإجبار الناس على الطاعة وإعادتها إلى عباءة الخلافة حيث إنّه ربط القول بالفعل ووافق كلامه مقام متلقيه وسامعيه وأحسن وصف الحالة وعلاجها.

وتختلف خطبة الحجّاج هذه عن خطبته التي ألقاها بعد مقتل ابن الزبير، إذ لا نجد شخصيته القاسية ولسانه الحاد؛ فبعد حادثة مقتل ابن الزبير عاجل الناس بخطبة قال فيها:

---

[1] ينظر: **تاريخ الأمموالملوك**، الطبري، ج208/6

[2] **زهر الآداب وثمر الألباب**، القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت، ط4، ج975/4

[3] **العقد الفريد**، ابن عبدربه، ج434/2

" ألا إنّ ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها وخلع طاعة الله واستكنّ بحرف الله ولو كان شيء مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة لأنّ الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وأباحه جنته فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته وآدم على الله أكرم من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة"[1].

فهو يقرّ بفضل ابن الزبير وقد استفتح خطبته بالثناء عليه، واستشهد في خطبته بقصة آدم عليه السلام عندما أخرجه الله من الجنة.

وقدأورد الحجّاج صورا للتمرد والمعصية منها: خلع البيعة، والطموح بالخلافة، وطاعة الشيطان، وموالاة الأعداء، ومناجاة الفتن.

ومن الألفاظ التي ذكرها في هذه الخطبة: رغب، نازع، خلع، استكن، العصاة، خطيئته. فهي تشير إلى حقل التمرد الذي وجده الحجّاج عند عبدالله بن الزبير.

ثانيا: خطبة الحجّاج وقد سمع تكبيرا في السوق

لما كان اليوم الثالث من تولي الحجّاج إمارة العراق، سمع تكبيرا في السوق، فصعد المنبر، ثم قال:" **يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الاخلاق، وبني اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الإما والفقع بالقرقر..."**[2]

كان من عادة الحجّاج أن يخاطب أهل العراق ويناديهم بأنّهم أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق في عدد من خطبه، وهذا يمثل شتما لهم. وهو يصوغ هذا الشتم متبعا ما يعرف بالسجع إذتوافقت نهاية الكلمات بصوت القاف.

---

[1] **جمهرة خطب العرب**، ص 287

[2] المصدر السابق، ص291

واختار الحجّاج مفردات ذات ظلال دينية، فالشقاق في اللّغة مصدر شاقَّ وهو الاختلاف والانقسام وعدم الاتفاق، ويقال هو من أهل الشقاق أي من أهل الخلاف والنزاع.

وأما النفاق فقد ورد عنه في معجم لسان العرب:"". والنفاق مصطلح إسلامي أطلق زمن الرسول على من كانوا يظهرون الإيمان من الكفار؛ قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَيُخَٰدِعُونَٱللَّهَوَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰيُرَآءُونَٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾[1]وقال:﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾[2] .

يخاطب أهل العراق جميعا ليلصق بهم من الصفات ما يدينهم ويجعلهم أهلا لتلقي صور التعذيب التي سيعرض لها تفصيلا بعد ذلك، فهم أهل شقاق ونفاق ومساوئ الأخلاق، وكأنه دمغهم بالحجج القاطعة التي تستدعي الخلاص منهم فهم على المستوى السياسي أهل فتن وتمرد، وثورات شقوا عصا الطاعة على ولاة الأمر، وشكلوا من خلال الأحزاب التي انتموا إليها ما يزعج أمن الخلافة فهم عصاة خارجون على أولي الأمر بقياس السياسة، أما بقياس الأخلاق فهم أهل نفاق وسوء خلق، وكأنما جمع الخطيب كل المبررات التي تدفعه دفعا إلى ضرورة التقويم والإصلاح وحتى إلى العقاب في أشد صورةوأقساها.

ثم تمثّل الحجّاج ببيتي شعر لعمرو بن برّاق الهمداني يقول فيهما[3]:

وكنْتُ إذا قومٌ غَزوني غَزوتُهُم فهل أنا في ذا يا لهمدانَ ظالمُ

متى تَجْمَع القلب الذّكيَّوصارما وَأَنَفا حميًّا تجتَنبك المظالمُ

في هذا البيت صفتان هما: الذكي، وحميّ وهما يدلان على الحزم والاستعداد اللذين يتمتع بهما الحجّاج.

1سورة النساء:142

2سورة النساء:145

[3]**جمهرة خطب العرب**، ص 291و292

واختتم بقوله: **أما والله لا تقرع عصا عصا إلا جعلتها كأمس الدابر**"[1]

يدل بيت الشعر المتمثل به على قوة وبأس شديد يقابل به الحجّاج من يغزوه ويستعمل هنا مفردة الغزوة التي تنتمي إلى حقل القتال والمعارك فهو يقوم بغزو من يغزوه، وليس في هذا ظلم، ثم يذكر صفات تجعل المظالم تجتنبه وهي القلب الذكي والأنفة.

ولعل هذا ملمح بارز في كثير من الشعر الذي يتمثل به الحجّاج ليعبر فيه عن نفسه؛ إذ يمتلئ البيت فخرا بالنفس.

ثالثا: خطبته بعد وقعة دير الجماجم

خطب الحجّاج فقال:" يا أهل العراق، إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف ثم أفضى إلى الأسماع والأمخاخ والأشباح والأرواح ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرخ ثم دب ودرج فحشاكم نفاقا وشقاقا وأشعركم خلافا، اتخذتموه دليلا تتبعونه، وقائدا تطيعونه، ومؤامرا تشاورونه وتستأمرونه، فكيف تنفعكم تجربة أو ينفعكم بيان؟ ألستم أصحابي بالأهواز حيث رمتم المكر وأجمعتم على الكفر، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته؟ وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذا، وتنهزمون سراعا، ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص قلوبكم؛ إذ وليتم كالإبل الشاردة عن أوطانها النوازع، لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوي الشيخ على بنيه حين عضكم السلاح وقصمتكم الرماح .ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم! بها كانت المعارك والملاحم، بضرب يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله، يا أهل العراق، والكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات، إن بعثناكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم، لا تذكرون

[1] المصدر السابق، ص292

نعمة ولا تشكرون معروفا، ما استخفكم ناكث أو استغواكم غاو، أو استنقذكم عاص، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع – إلا لبيتم دعوته وأجبتم صيحته، ونفرتم إليه خفافا وثقالا وفرسانا ورجالا؟ يا أهل العراق، هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر زافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره؟ يا أهل العراق ألم تنفعكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنه القذر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذباب، يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم الملاءة والحذاء"[1].

استعمل الحجّاج فيها أفعالا ماضية تدل على استباحة العراقيين للفتن وخلقهم للمشكلات نحو: أعياه، استطال، ثقل، سقمت، ساء، عصاني؛ وكل هذه الأفعال انتهت وباتت من الماضي في ظل الأمير الجديد.

وعندما أراد الحجّاج أنْ يؤكد جديته في السياسة الجديدة جعل الأفعال التي هدد فيها العراقيين بسفك دمائهم حال غدرهم تدل على الزمن الماضي نحو: وضعت، قصرت، صحت، سبق، ضربت؛ فصارت هذه الأفعال وكأنها ناجزة في حقهم، مع أنّها مجرد تهديد لم ينفذ بعد، وقد يستعمل الماضي في مقام المضارع لأغراض منها الإشارة إلى تحقق وقوع الفعل.

ويقول الحجّاج:" **إنّ الحزم والعزم سلباني سوطي وأبدلاني به سيفي، فقائمه في يدي، ونجاده في عنقي**"[2] فإذا أراد الحجّاج أنْ يرهب سامعيه فإنّه لا يغفل عن ذكر أدوات القتال وأنواعها، ومسميات أجزاء السيف ليدل على العقلية العسكرية، وإرهاب السامع بهذه المسميات،

---

[1] **جمهرة خطب العرب**، ص 288

[2] **المصدر السابق**، 292

فهذا يدل من جانب على نشأته وتعوده على نهج الحزم والعزم، ومن جانب آخر تبنيه خيار إنهاء الأزمات بحد السيف منذ زمن.

وهدد كذلك بـ" **وأقيم من أودكم ما يقيم المثقف من أود القناة بالنار**"[1]، فهو يذكر هنا مجالا معنويا هو ميل الناس عن الاستقامة، ويقابلها صورة المثقِّف الذي يصلح اعوجاج القناة بالنار وهذه صورة مادية؛ والثِّقاف: حديدة تكون مع القوّاس والرمّاح يقوِّم بها الشيء المعوج والثقاف ما تسوى به الرماح وتثقيفها تسويتها. "وفي حديث عائشة تصف أباها:" وأقام أوده بثقافه" تريد أنه سوّى عوج المسلمين."[2]

[1] المصدر السابق، الصفحة ذاتها

[2] **لسان العرب**، مادة " ث ق ف "

المبحث الثاني

ألفاظ العنف وتراكيبه في خطب الحجّاج

كيف تتسنى دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة؟ إنّ الطرق التي اقترحت للقيام بهذه الدراسة تختلف باختلاف المدارس اللّغوية، وهذه الطريقة صالحة للتطبيق على أية لغة من اللّغات الحية بدراستها دراسة وصفية،وتعد هذه الطريقة الكائن البشري مركزَ دراسة اللّغة، وهي تهتم بالشخص أو الشخصية اهتماما كبيرا.

هنالك كلمات وعبارات وهي: **أخو الحرب، ابن جلا، طلّاع الثنايا، سوّاق حطم، عصلبي، خرّاج من الدوي، مهاجر، أمرّها عودا**. وكل هذه الكلمات والعبارات تدل على شخص واحد وهو الحجّاج إلا أن كل واحدة منها تقدّم دلالة جديدة ووصفا جديدا للحجّاج.

فأخو الحرب: أي ملازمها، ويذكر الأخ في أمر يكون صاحبه لا يفارقه، ولا يزال مباشره كأنهما أخوان لا يتفارقان وهو تركيب إضافة.

و"**مهاجر** ليس بأعرابي"، مع أن كلمة مهاجر في اللّغة تنصرف إلى تلك التسمية الشرعية التي سمّى بها القرآن من هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة حين اشتدّ أذى قريش على المسلمين.

يذكر الحجّاج مجموعة من الصفات تشير إلى شخصيته هي:

- ما أغمز تغماز التين.
- لا يقعقع لي بالشنَان.
- لقد فررت من ذكاء.
- لقد فتشت عن تجربة / وجربت من الغاية

كذلك عبارات: دواؤه، أعجله، وضعت عنه ثقله، قصّرت عليه باقيه، كلها عبارات تدل على القتل وسفك الدماء والعبث بأرواح الناس، ولكن لكل منها معنى خاصا يصب في المعنى المحوري وهو القتل أو الموت.

وردت عبارات تحمل هجاء وشتيمة واحتقارا لأهل العراق كقوله: معدن الشقاق والنفاق" ومعدن الشقاق أصله قال الجوهري: النافقاء إحدى حجرة اليربوع يكتمها، ويظهر غيرها وسمي المنافق منافقا للنفق، وهو السرب في الأرض، وقيل إنّما سمي منافقا لأنّه نافق كاليربوع. والشقاق غلبة العداوة قال تعالى:﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾[1] والشقاق العداوة بين الفريقين والخلاف بين اثنين سمي شقاقا لأن كل فريق من فرق العداوة أخذ شقا،"وشق فلان العصا؛ أي فارق الجماعة، وأما قولهم شق الخوارج عصا المسلمين، فمعناه أنّهم فرقوا جمعهم وكلمتهم، وهو من الشق الذي هو الصدع وقال الليث: الخارجي يشق عصا المسلمين ويشاقهم خلافا."[2]

اتكأ الحجاج على المحسنات اللفظية بشكل واضح، فهناك السجع في قوله: يا أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وقوله: أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف، ولتدعن الإرجاف، وغيرها كثير.

- **الشرط**

استخدمت الجملة الشرطية المصدرة بـ (إنْ) والتي يكون فيها فعل جملة الشرط المنفية بـ (لا) محذوفا. وقد وردت على نمط (وإلا فعلتُ):

- إلا سفكت دمه، وأنهبت ماله، وهدمت منزله[3]

1سورة الحج:53

[2] **تهذيب اللغة**، الأزهري، مادة " شقَّ"

[3] **الكامل في اللغة والأدب**، المبرد،181/1

- إلا جعلتها كأمس الدابر
- إلا ضربت عنقه (وقد تكررت كثيرا في خطب الحجاج)
- إلا ضربت عليكم خمس الجزية

أسندت جميع الأفعال إلى ضمير المتكلم (تُ)، بعد إلا، وذلك ليضاعف الحجاج تخويف وتهديد من يخاطبهم. ويهدد الحجاج بسفك الدماء، ونهب الأموال، وهدم المنازل، وضرب الأعناق كعادته.

وسيلة تهديد المخاطب في النصوص هي استخدام الجملة الشرطية المصدرة بإنْ، والتي يكون فيها فعل جملة الشرط المنفية ب(لا) محذوفا، وقد وردت الجملة الشرطية الدالة على التهديد على نمطين:

وإلا فعلت

وإلا فأفعل

استخدام تركيب الجملة الشرطية المصدرة ب(أن) والتي يكون فيها فعل جملة الشرط المنفية بلا محذوفا وهي قوله وإلا ضربت عنقه.

بعد التعريف بشخصيته بدأ الخطيب حواره المفزع مع جمهوره فاختار من الألفاظ أدقها، ومن الصور أعقدها، ويتدرج منطقيا بما يحقق له المطلوب من خلال خطبته وأولها تلك الصورة المخيفة التي عرض فيها لمشهد الرؤوس التي أينعت وحان قطافها، وعلى يديه هو بصفة خاصة، وهو معروف بين القوم بقوته وعنفه وشراسته، ومن هنا كان منطلق الخطبة يفيض بمشاهد الدماء التي صورها أيضا تترقرق بين العمائم واللحى، فبنى الصورة من واقعين تركيبين، وكلا التركيبين يثير الفزع في نفس المتلقي صحيح أنّه عمم الصورة، ولكنها دلت على جوهر قصده مع أهل التمرد ممن جاء اليهم لا ليخاطبهم، بل ليؤدبهم، ويردهم إلى رشدهم،فكان

الرد بالكلمة هنا رادعا حق الردع، فأنّى لهذه الرؤوس اليانعة أنْ تستمر في تمردها وقد جاءها الحجاج ليأتي على دابرها؟

ولنا أنْ نتصور طبيعة ذلك الأداء اللّفظي بصرف النظر عن التصوير من خلال إنّي لأرى... وإنّي لصاحبها... وإنّي لأنظر... وإني والله... لنتوقف عند صيغ التوكيد القطعي ازدواجا بين أنْ ولام التوكيد المفتوحة مع صيغ القسم، مع زيادة التأكيد بالحديث عن الأنا التي كشفت عن توهجها وتضخمها أمام الآخر على الرغم من تفرد ضمير الأنا أمام ضمير المخاطب من جمع الجمهور، ولكن الحجّاج قصد إلى هذا قصدا بلاغيا كما قصد إلى رسم الصور الدالة على الشراسة والقوة والقسوة، فما كانت رؤوس أهل العراق أمامه إلا ثمارا حان له قطفها، وما كانت الصورة لتكتمل إلا من خلال ذلك المشهد اللوني الذي عرضه لون الدماء على غزارتها وكثافتها وترقرقها بين العمائم واللحى .

التهديد الصريح وتنطلق منه صيغ الوعيد المروعة، وكأنّما راح يبني على ما قدمه من تصوير ما سيوقع بهم من صور العقاب التي اختار منها مشهد العصا والإبل، وهو مشهد يبعث في نفوس جمهور المتلقين من الخوف والقلق صورا كثيرة، وإنْ تجاوز المشهد لدى الحجاج حدود الراعي وغنمه ليتوقف عند أبعاد الصورة التي خصصها بالضرب والعصا وغرائب الإبل على استخدام صور التوكيد المكررة من خلال القسم، ولام القسم ثم من خلال لام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة، وكأنّما استجمع كل طاقاته التوكيدية التي تضيف إلى ما عرف من شخصيته بعدا آخر يستكشفه كخطيب بارع مشهود له بالصنعة الفنية والأناة وحسن انتقاء الألفاظ ورسم الصور بمثل هذه الأناة وتلك الدقة.

وكأنّما قصد الحجاج إلى الاستطراد في إقامة الحجة ثانية وثالثة على خصومه، فيستعيد صيغ القسم المشروط وكأنّه أعطاهم الفرصة التي لا يسهل عليهم تجاوزها، أو إمكانية تعويضها

إنْ فاتتهم فأعطاهم مجالا للاستقامة، والتراجع عن الضلال وسبل الغي التي استهوتهم، وهو في ذلك يعكس صورة أخرى مما تعارف عليه شعراء بني أمية في مخاطبتهم لأقطابهم من الأحزاب المعارضة،وهو منطلق الحجّاج حيث يتوعد ويهدد ويمنح الجمهور فرصة الاختيار بين الاستقامة على طريق الحق والرجوع إلى مهادنة الخلافة وإلا جعل لكل رجل منهم جرحا في جسده مع دقة اختياره لكلمة رجل هنا بما تعكسه من بعد إنساني يتجاوز ما يمكن أنْ يمتد من الأذى إلى غير الرجال من النساء أو الصغار أو الشيوخ.

ولجأ إلى التوكيد كثيراً وما أحوجه إلى ذلك فهو والٍ جديد لا يعرفه الناس، وهو والٍ لأناسٍ اعتادوا الفوضى والفتن، فلا بد من أن يقرّ في أذهانهم ما هو فاعله.ومن أمثلة التوكيد:

القسم بالله (والله لا أحلف إلا صدقت) واستعمال حرف التوكيد (إنّ) أكثر من ثماني مرات، ونون التوكيد الثقيلة ما يقارب سبع مرات، ولام التوكيد ما يقارب أربع عشرة مرة.

- **النداء**

يعرفه البلاغيون" طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف ناب مناب " أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء".[1]

صدّر الحجاج الكثير من خطبه بالنداء، وقد كان يتكرر هذا الأسلوب في بعض الخطب أكثر من مرتين؛ ففي خطبته بعد موقعة دير الجماجم احتوت الخطبة على خمسة نداءات.

والدارج في نداء الحجاج لرعيته أن يناديهم منسوبين إلى المكان مثل:(يا أهل العراق، يا أهل الكوفة، يا أهل الشام) ولم ينسبهم إلى قيم إيمانية مثل:(يا أيها المؤمنون، يا أهل السلام)

[1] **جواهر البلاغة**، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط2، ص82

أو إلى قيم اجتماعية مثل:(أيها الأخوة) وهذا نداء له غاية في نفس الحجاج؛ خصوصا أنه على دراية بالعراقيين وأنهم أهل نقائص في نظره.

وإذا تتبعنا الكلام الذي يتلو النداء مباشرة وجدناه يقع بين الزجر والتوبيخ مثل قوله: يا أهل الكوفة أما والله إني لأحمل الشر بحمله... وقوله: يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق... وقوله: ايها الناس من أعياه داؤه فعندي دواؤه..... ياأهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم... يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات..... يا أهل العراق هل شغب شاغب... ياأهل الكوفة إن الفتنة تلقح بالنجوى...

والنداء بالمكان يحمل شيئا من التقريع المنبئ عن انحطاط الإنسان وتدهور قيمه، فالنداء يحمل تنبيها وربطا بينهم وبين المكان كأنهم لم ينفكوا عن أخلاقهم وسلوكهم المعوج ما ارتبطوا بهذا المكان.

كما أنّ نداءه لأهل الشام مختلف عن نداء العراقيين، فإذا تمعنا الكلام الذي يتلو نداءه للشاميين نجده يتودد لهم ويمتدحهم" يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه، بل أنتم يا أهل الشام كما قال الله سبحانه" ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون" فهو يربط بين الأخلاق والطبائع بالأماكن ونداؤه للناس حسب انتمائهم المكاني ليخصص ما بعد النداء من مدح أو زجر بأصحاب هذا المكان الذي يناديهم.

وبالربط بين الحجّاج وحالته النفسية وكلامه يظهر أنه استغل هذا التركيب للتأثير على السامعين حيث تظهر شخصيته الحجازية لتحقير أحل العراق ليشعرهم بدناءتهم ومدى نقصهم.

- **الاستفهام**

جاء أسلوب الاستفهام عند الحجّاج منسجما مع منظومة التهديد والتوبيخ التي عرف بها، وسخّر الحجّاج الاستفهامات لتناسب الموضوع الذي يتحدث فيه. حيث لا يشترط أن يكون الاستفهام من النوع الطلبي الذي يعرّفه علم البلاغة بأنه" طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل".[1] وأدوات الاستفهام: الهمزة، وهل، وما ، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنّى، ومتى، وأيّان.

ويخرج الاستفهام عن الغرض الأصلي إلى أغراض مجازية عديدة؛ مثل: الأمر والنهي والنفي والتشويق والتعجب والتمني والتهكم والتحقير والتقرير والتسوية والاستبطاء والتعظيم والانكار والتوبيخ والتحسر والاستئناس والتهويل والتنبيه والتكثير والوعيد.

ففي خطبة الحجّاج بعد وقعة دير الجماجم قدّم كلامه بشيطنة أهل العراق واتهمهم بموالاة الشيطان حتى يصل بقوله إلى الاستفهام:" يا أهل العراق، إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والأطراف والأعضاء والشغاف، فحشاكم نفاقا وشقاقا؛ اتخذتموه دليلا تتبعونه ومؤامرا تستشيرونه،فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجزكم بيان"[2] فالحجّاج يعلم الإجابة سلفا وهو يبين لهم أن الحلول السلمية معهم مثل: التجربة والوقعة والإسلام والبيان لا تجدي نفعا في إصلاحهم.

ثم يثني بسؤال آخر " ألستم أصحابي بالأهواز؟ حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر .... سراعا؟" فكأن الحجاج استشهد بهذا السؤال على السؤال السابق وذكر وقعة الأهواز حيث انخرط العراقيون في ثورة ابن الأشعث ضد الدولة الأموية.

---

[1] **أساليب بلاغية**، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص118

[2] **جمهرة خطب العرب**، ج293/2

وفي الخطبة نفسها يكثف الحجّاج الاستفهامات فيقول:" يا أهل العراق، ألم تزجركم الوقائع؟" وتأتيثلاثة استفهامات عقب موجة توبيخ وتحقير العراقيين، فالحجّاج يذكرهم بخصالهم السيئة، ثم يذكرهم بسؤاله بالنتائج المترتبة على هذه الخصال.

وسؤاله" ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟" يبدو كالأمر بالتوقف عن الغي والتنبيه على الخطيئة فعدل عن الأمر المباشر: انتهوا وانزجروا، إلى الاستفهام الذي يفيد الأمر والوعيد مكررا أداة الاستفهام، وهي الهمزة للفت الانتباه والتأكيد على ضرورة الالتزام.

- **الأمر والنهي**

ترتفع نسبة استعمال أساليب الأمر والنهي في كلام الشخص المتسلط؛ فالحجاج يبدأ في إحدى خطبه بقوله:" أيها الناس، إياكم والزيغ؛ فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله، فيأتي الأمر هنا بصيغة التحذير "إياكم" الذي معناه احذروا أو ابتعدوا، وعلى الرغم من كونه أمرا حقيقيا من الأمير إلا أنه يحتمل أن يكون تحذيرا في الوقت ذاته، ومما يزيد هذا التحذير قوة وقوعه بعد التنبيه مباشرة.

وبعد هذا الأمر التحذيري الذي يفيد الابتعاد عن الزيغ أي الميل عن الحق يوضح الحجّاج للعراقيين أنّه خبير بهم وأنّه الوحيد القادر على قيادتهم لانّه يعرفهم حقا، فيقول:" ورأيتم سيرتي فيكم وعرفت خلافكم وطيبكم على معرفتي بكم، ولو علمت أحدا أقوى عليكم مني ما وليتكم، فإياي وإياكم من تلك قتلناه، ومن سكت مات بدائه غما" فالأمر الأول إياي يحذره من شخصه العالم بهم وكأنه يقول: لأني أعرفكم فاحذروني، والأمر الآخر إياكم يحذرهم فيه من ذواتهم وكأنّه يقول: احذروا أنفسكم المجبولة على الفوضى والعبث.

ومن الأوامر التي وردت في النصوص التي استشهد بها الحجّاج في خطبه قوله في خطبة له بالبصرة[1]:" قال الله تعالى:" فاتقوا الله ما استطعتم" فهذه لله وفيها مثوبة وقال :" واسمعوا واطيعوا" وهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان، أما والله لو أمرت الناس أنْ يأخذوا في باب واحد فأخذوا في باب غيره لكانت دماؤهم لي حلالا من الله." وهذه الأوامر جاءت في آية واحدة من سورة التغابن يقول الله تعالى:﴿فَٱتَّقُواْٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾[2] فالحجّاج يحتاج إلى قوة إلزامية ترغم الرعية على السمع والطاعة للخليفة الأموي، فيلجأ إلى استعارة أسلوب أمر من القرآن الكريم الذي تعتبر أوامره طاعة وفريضة يثاب عليها المسلم كما أنّ تركها معصية تستوجب العقاب.

[1] **جمهرة خطب العرب**، ص 295و296

2سورة التغابن:16

الفصل الثاني

العنف على المستوى الدلالي

من أهم القضايا التي يتناولها الدّرس الدّلاليّ مسألة الدال والمدلول والعلاقة بينها، وهي القضية التي كانت تتعلق باللّفظ والمعنى، وباتساع مجال الدّلالة صار يُطلق عليها الدال والمدلول. ويؤكد سوسير على اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول وأنّ الكلمة تكتسب معناها ليس من علاقة جِبليّة بينها وبين الشيء الذي تدل عليه، بل من اختلافها مع كلمات أخر، فهو يرى أنّه ليس في اللّغة سوى الاختلافات.

والدال عند سوسير هو القيمة الصوتيّة أو الصورة الأكوستكيّة؛ أما المدلول فهو المحتوى الذهنيّ أو الفكريّ. والعلاقة بين الدال والمدلول هي ما سمّاه دي سوسير بالعلامة ومن هنا عُرّفت اللّغة بأنها: "نظام من العلامات"[1].

يقول عبد السلام المسدي:" اللّغة هي مجموعة من العلاقات الثنائية القائمة بين جملة العلامات المكونة لرصيد اللغة ذاتها، وعندئذ نستسيغ أيضا ما دأب عليه اللّسانيون من تعريف العلامة بأنّها تشكُّل لا يستمد قيمته ولا دلالته من ذاته، وإنّما يستمدها من طبيعة العلاقات القائمة بينه وبين سائر العلامات الأخرى."[2]

وإذا كان تحديد معنى الكلمة يتم بالرجوع إلى القاموس اللّغويّ أو المعجم؛ فإنّ هذا لا ينسحب على جميع الكلمات التي تأتي مفردة أو في السياق. ومن هنا ذكر اللّغويون أنّ أنواع المعنى كثيرة؛ هي:[3]

---

[1]ينظر: **دروس في الألسنية العامة**، فرديناند دي سوسير، تعريب: صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985، ص118

[2]**اللسانيات وأسسها المعرفية**، عبد السلام المسدّي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986 ص30

[3]ينظر: **علم الدلالة**، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص 36 – 39

- المعنى الأساسيّ أو التصوري: وهو المعنى الذي تحمله الوحدة المعجمية حينما ترد مفردة.
- المعنى الإضافي أو الثانوي: وهو معنى زائد على المعنى الأساسي يدرك من خلال سياق الجملة.
- المعنى الأسلوبي: وهو الذي يحدد قيما تعبيرية تخص الثقافة أو الاجتماع.
- المعنى النفسي: وهو الذي يعكس الدلالات النفسية للفرد المتكلم.
- المعنى الإيحائيّ: وهو ذلك النوع من المعنى الذي يتصل بالكلمات ذات القدرة على الإيحاء نظرا لشفافيتها.

والجملة لكي تؤدي قيما دلاليّة يفترض أن تكون ذات وحدة بنيويّة ووظائفية، وهو ما يكرّس مبدأ التركيب السياقي ودوره الأدائي.

فالأستاذ فيرث يرى أن الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم ما يلي[1]:

1- أن يحلل النص اللغوي على المستويات المختلفة الصوتية والفونولوجية والمورفولوجية والنظمية والمعجمية.

2- أن يبين سياق الحال شخصية المتكلم؛ شخصية السامع؛ جميع الظروف المحيطة بالكلام...

3- أن يبين نوع الوظيفة الكلامية: تمن، إغراء،... الخ

4- وأخيرا يذكر الأثر الذي يتركه الكلام، ضحك تصديق، سخرية...

[1] **علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي**، محمود السعران، ص312

من المعروف أنّ معاني الألفاظ غير ثابتة وإنّما تتغير بتغير ما حولها، ومما تتحدد به الدّلالة، وتتغير ما يعرف بالحقيقة والمجاز، ومبحث الحقيقة والمجاز من المباحث التي اهتم بها الدّرس الدّلاليّ.

قال ابن منظور:" والحقيقة في اللّغة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك، وإنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاث؛ وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه فإنْ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة."[1]

فمن أهم مميزات المجاز حمل الكلام على غير حقيقته، فمثلا لو قلنا: فلان أسد، فالحقيقة التي لا يمكن المجادلة فيها هي أنّه ليس أسدا فهو إنسان، وإنّما استعيرت له هذا الكلمة لجامع هو الشجاعة؛ وقد قامت الدّراسة المجازيّة التقليديّة على مفهومي النقل والعلاقة.

ومن أول كتب اللّغة والنحو التي عالجت هذا الموضوع كتاب سيبويه فقد أدرك من خلال وقوفه على بعض النصوص المجازية أنّها لا تحمل على ظاهرها؛ إذ لو حُملت على الظاهر لما استقام المعنى؛ فقد ذكر أنّ العرب تفعل ذلك على سبيل الاتساع والإيجاز في كلامها، وقد ذكر ذلك في باب من كتابه؛ فقال:" هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار" وذكر أمثلة على ذلك فقال:" كم صيد عليه؟ وكم غير ظرف لما ذكرت لك في الاتساع والإيجاز فتقول: صيد عليه يومان، وإنّما المعنى صيد عليه الوحش في يومين، ولكنه اتسع واختصر، ولذلك أيضا وضع السائل كم غير ظرف."[2]

والشائع أنّ المجاز عنصر جمال في اللّغة، ومكمن قوة فيها، وعنصر تميُّز لغويّ وأدبي؛ فكلما كان الشخص قادرا على استعمال المجاز كان أكثر تميزا، وأنجح في قدرته اللّغويّة، ومن

---

[1] **لسان العرب**، ابن منظور، مادة " ج و ز "

[2] **الكتاب**، سيبويه، 321/3

ثم في توصيل مراده، وقد أبدع الشعراء والأدباء حتى أصبحت حرفتهم مبنية على مثل هذا التصور.

ويمكن أنْ يتكون العنف على المستوى الدّلالي من خلال مناقشة الصور الفنية والتشبيهات والمجاز المرسل والكنايات التي وردت عند الحجاج ورصد آلية التصوير والمقابلة التي وظفت في سياق تهديديّ.

- **التشبيه**

الشَّبَهُ والشِّبْه والشَّبيه: المثْل، وأشبه الشيء الشيء: ماثله، ويقال: شبهت هذا بهذا، وأشبه فلان فلانا. والتشبيه مصدر من شبّه. أما المعنى اللّغويّ للتشبيه فيشير إلى وجود طرفين بينهما وجه شبه واحد أو أكثر، وشاع في كتب البلاغة أنّ للتشبيه أربعة أركان هي : المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويطلق على طرفي التشبيه: المشبه والمشبه به وهما الركنان الأساسيان في التشبيه.

- إذ ولّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها

هذا تشبيه مفصّل ذكرت فيه الأداة (ك) كاف التشبيه ووجه الشبه. ويرد هذا التشبيه في معرض ذم لأهل العراق، وقد استوفى أركانه من مشبه ومشبه به وأداة غير أنّ جماله يبرز في استثمار البيئة العربية الصحراوية في الجمع بين طرفيه، ففرارهم من المعركة (معركة دير الجماجم) يشبه تماما فرار الإبل الشوارد إلى أوطانها خوفا من الموت.

- والله لأجعلنهم كالرسم الداثر وكالأمس الغابر

فقد شبه الحجّاج العراقيين وأهل البصرة تحديدا حالهم بعد مخالفة أوامره ففي حال عصوه معصية أو مخالفة بسيطة سيجعل منهم أطلالا وأحاديث للناس، ولا يخفى على المتلقي وجه الشبه المتعلق بالرسوم والديار المتهدمة حينما يحل بها غضب الوالي، ولقد قرب حالهم كمشبه من حال الرسم والأمس مع إدراكنا لمدى البعد بينهما، لكن الحجّاج استطاع بمقدرته البلاغية والفنية أنْ يجمع بين الصورتين المتباعدتين فصارتا متعانقتين في وجه شبه واحد.

- لا يغمز جانبي كتغماز التين

فهو لا يشير إلى المشبه به باعتباره حالة واقعية، إنّما قصد ما يلزم بالضرورة عن هذا التعبير من إفهام المتلقي بأنّ له شخصية يصعب كسرها والتغلب عليها، كما أنّ العبارة كناية عن فطنة الحجّاج التي تمكنه من مواجهة الدسائس والفتن المنتشرة في العراق.

ووردت تشبيهات في سياق واحد:

- لألحونّكم لحو العصا
- لأعصبنّكم عصب السلمة
- لأقرعنّكم قرع المروة
- لأضربنّكم ضرب غرائب الإبل

ففي قوله (لألحونّكم) تهديد صارخ بالعقوبة المؤلمة، فهو سيسلخ جلودهم عن أجسادهم كما تزال القشرة عن العصا حيث نقل المشبه به دلالة قوية مادية للعذاب، وفيها تصوير للعذاب في أقسى صورة، وليس آلم على المرء من نزع جلده وهو حي.

ولأعصبنكم: غابت أداة التشبيه من هذه العبارة فالحجّاج يقرر أنْ يعصبهم عصب شجرة السلمة الكثيرة الأشواك وهنا يوصل لهم رسالة أنّه لا يخشاهم وسيسلط عليهم أشد العذاب؛ والعصب يعني القطع، والسلمة هي الشجرة القوية ذات الأشواك.

لأضربنّكم: يقصد كما تضرب غرائب الإبل فهو يشبه ضربه لأهل العراق بضرب الإبل، وهذه الصورة مأخوذة من واقع حياتهم البدوية فكان وجه الشبه صفة بارزة في المشبه به، ولكنه يكاد يتطابق مع المشبه، وإلا لما تشابهت العقوبة بين أهل العراق والإبل.

لأقرعنّكم: يواصل الحجّاج رسم صور العذاب وصنوفه التي سيتلقاها العراقيون على يده فهو سيقرعهم كما تقرع المروة وهي حجارة صلبة تقدح منها النار بقرعها بعضها معبعض فهو

يبحث عن المشبه به الذي يحقق له غرض بيان العذاب في أقبح صورها وأظهرها ويجعل منه ومن المشبه به لحمة واحدة وذلك لتأكيد الادّعاء أنّ المشبه هو المشبه به نفسه، وتميزت هذه الصورة التشبيهية بالاختصار، إذ حذفت الأداة ووجه الشبه وفيه ادّعاء من الحجّاج أنّ قرع أهل العراق سيكون مطابقا لقرع الحجارة حتى تشتعل النيران منها.

- "فإنكم لكاهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما يكون يصنعون"[1]

يشبه الحجّاج العراقيين بأهل القرية الظالمة ولجأ إلى المشبه به من القرآن الكريم ليؤكد لهم بأنهم يستحقون العقاب.

- أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

هذا تشبيه بليغ يقوم على طرفين: المشبه والمشبه به مع غياب الأداة ووجه الشبه، وسمي بليغا؛ لأنّه يجعل من المشبه والمشبه به في غياب الأداة شيئا واحدا.

عمد إلى حذف وجه الشبه بينه وبين ابن جلا وقد ذكر ابن الأثير في شرحه لهذه الخطبة أن ابن جلا هو الصبح لأنه يجلو الظلمة، ولكنها في هذا البيت للشاعر سحيم بن وثيل الرياحي تعني الليث سمي بذلك لوضوح أمره،وكان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنية الجبل وباختياره هذا المشبه به ربما نسب إلى ذاته من صفات الليث؛ فقد أكسب هذا التشبيه قوة وتأثيرا كبيرا، ولعل وروده بهذا الشكل في المقدمة جعله أبلغ وأحكم في بلوغ الغاية وأهل العراق أعرف الناس بفتك ابن جلا.

[1] **جمهرة خطب العرب**، ص 290

ثم إنّ ابن جلا من صفاته أنّه طلّاع ثنايا التي هي الطريق في الجبل وهي صفة تدل على أن الحجّاج قوي شديد يتحمل المشاق، وأنّه قادر على أنْ يطلع الثنايا المرتفعة، وهنا إشارة إلى أنّه أقوى من العراقيين وأشد صلابة.

- **الاستعارة**

يقال: استعار فلان سهما من كنانته: رفعه وحوله منها إلى يده. وقيل: إن الاستعارة مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، إذ لا يعرفه حتى يستعير منه. وحدَّ الرماني الاستعارة فقال:" هي تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللّغة على سبيل النقل". وذكر الخفاجي كلام الرماني وقال: تفسير هذه الجملة قوله عز وجل:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾[1] [2]

ومن التراكيب البلاغية المجازية الشائعة في خطب الحجّاج، الاستعارة المكنية وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه والمتأمل في استعارات الحجّاج يدرك أن جماليتها متأتية من حسن صياغتها وابتكار الصور المعبرة عن المعاني بطرق تشخيصية تحمل المتلقي على تخيل صور جديدة لم يألفها.

يقول:" إنّي لأحمل الشر بحمله، فقد جعل الشر وهو أمر معنوي يحمل مع أنّه إحساس معنوي وهذه الرسالة موجهة لأهل الكوفة مفادها أنّ الأمير الجديد رجل شجاع ويجابه الخطوب، لما لدلالة الحمل من تمكن الحامل مما يحمل على عاتقه فهو رجل شديد وتجسيد الشر وتشخيصه

1سورة مريم:4

[2] **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987، ج109/1

أبلغ في التهديد والتخويف وقد درجت العرب على تصوير الشر وتجسيده كما ورد في بيت الحماسة[1]:

قَوْمٌ إذا الشَّرُ أَبْدى ناجذيْهِ لهم طاروا إليه زَرافات وَوحدانا

وأحذوه بنعله؛ هذه استعارة مكنية، فقد جعله إنسانا وله حذاء، فالحجّاج يستعير من مهنة صناعة الأحذية فعل (الحذو) وهنا إشارة إلى أنّ الحجّاج لن يسكت على المخالفين، فرد الشر قياسا إلى شرهم يحتاج من الترقب والتفرغ لهم؛ وفي هاتين الاستعارتين تشخيص لمشاعر الحجّاج تجاه أهل العراق.

هذا الأسلوب أسهم في تكوين صورة مفزعة في نفوس السامعين وكشف حقيقة القائد الجديد وصرامته.

ومن استعاراته كذلك قوله:" إنّي لأرى أبصارا طامحة، وأعناقا متطاولة، ورؤوسا قد أينعت" فقد عمد إلى تشبيه رؤوس الخارجين عن الخلافة من الثائرين بثمار الأشجار اليانعة وفي هذه الصورة المجازية تبرز عاطفة السخرية، وتتعاظم نظرة الازدراء، فكأنّه ذلك البستاني الذي جاء إلى بستانه في وقت القطف، يقول تعالى:﴿ٱنظُرُوٓاْإِلَىٰثَمَرِهِۦٓإِذَآأَثۡمَرَوَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡلَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾[2]

يقول أحد الدارسين:" من جماليات الاستعارة عند الحجّاج أنه يزاوج بين المتنافرين، ويتقاطع عنده المتوازيان، فالعملية الاستعارية بقدر ما تقيم تخلخلا في مظاهر الواقع الراقدة الظاهرة ليفتح على أنقاضها عالما جديدا، تحدث أيضا تخلخلا معادلا على مستوى بنية الجملة،

[1] **شرح ديوان الحماسة، المرزوقي**، علق عليه ووضع حواشيه: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج23/1

2سورة الأنعام:99

فنرى الفعل يسند إلى ما لا صلة له في الحقيقة، وتوصف الأسماء بما لا يأتي لها أنْ توصف به في الواقع، ويضاف الاسم إلى ما لا صلة له في الطبيعة."[1]

ثم ينتقل إلى مشهد آخر " وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى" وهذا خيال خصيب مشبع بصور الأشلاء والقتل والدمار.

ومن جيد استعاراته المكنية قوله في وصف المعاني الحربية والمواقف البطولية متمثلا ببيت شعر[2]:

أخو الحربِ إنْ عضّتْ بهِ الحَربُ عضَّها وإنْ شمّرتْعن ساقها الحربُ شمّرا

في الشطر الأول من البيت يشبه الحرب بحيوان مفترس شرس وبذلك خلع عليه مجموعة من صفات الافتراس والقوة ومع أنّ المشبه به محذوف إلا أنّ القرينة اللّغوية (عضت) قد دلت عليه.

أما الشطر الثاني فقد شبه الحرب بإنسان ولتكن امرأة تشمر عن ساقها، وتأتي قوة هذه الاستعارة من كونها تحمل في طياتها معنى الكناية، فالتشمير عن الساق كناية عن صفة الاستعداد.

يقول الحجّاج:" **وإنّ أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه، فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا**" هذه استعارة تصريحية فقد عمد إلى تشبيه رجاله وقادة جيشه بالجعبة التي توضع فيها السهام وهي الكنانة لكنه لم يذكر لفظ المشبه وصرح بالمشبه به "وتبرز بلاغة وجمال هذه الاستعارة في حسن اختيار لفظ المشبه به فقد قال الكنانة الدالة على السلاح والحرب والقوة ولم يستخدم غيرها."[3]

---

[1] **خطب الحجاج بن يوسف الثقفي،"دراسة أسلوبية"**، رسالة ماجستير، إعداد: عبد الله ماهر السوسي، ص105

[2] **جمهرة خطب العرب**، ص 288

[3] **جماليات التشكيل في النص الخطابي عند الحجّاج بن يوسف الثقفي**، رسالة ماجستير، سليم بوزيدي، ص169

ثم يشبه نفسه بسهم من الكنانة لكنه سهم عصي على من يريد كسره يقول: فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا" وهذا تشبيه؛ شخّص به الحجّاج للمتلقي عملية اختيار الخليفة عبد الملك الدقيقة لمن يكون واليا على العراقيين.

- **الكناية**

والكناية مصدر كنى، يقال: كنّى به عن كذا يكنى، ويكنو كناية: أي تكلم بما يستدل به عليه، أو أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره"[1] وفي الاصطلاح عرفها الجرجاني بقوله:" هي أنْ يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللّغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه."[2]

إنّ الملاحظ لكنايات الحجّاج يجد أنها تعبر عن صفات يلصقها بشخصيته وهو ما يساهم في بروز الأنا عنده.

لقد أدرك الحجّاج أنّ توكيد المعاني الترهيبية لا يكون بالتصريح بها بل عن طريق الكناية وإلا لكانت موضع سخرية من أهل العراق، فحينما أراد التعبير عن أنه رجل حرب كان ولا يزال في ساحاتها، ارتدى عمامة الحرب، وتزيّا بها، وعمد إلى بيت سحيم بن وثيل الرياحي:متى أضع العمامة تعرفوني

فالعمامة كناية عن الحرب، وهي في عرف العرب تلبس في الحرب، وتوضع في السلم، وفيها تلميح بأنّه ما زال مرتديا عمامته فهو في حرب، وعليهم أنْ يحذروا بطشه، وهي كناية عن صفة القوة في المحاربة . ولفظة " العمامة" قدمت وصفا غير مباشر لمعنى القوة في الحرب، وزادت في إثباته أفضل من أنْ يقول: أنا رجل حرب وسأحاربكم.

---

[1] **القاموس المحيط ،** الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، مادة "كني"

[2] **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط1، 1983، ص105

ومن أحسن ما أبدع به الحجّاج ما قدّم من الكناية المباشرة في تخليه عن فاتحة خطبته التي يفترض أن تكون بسملة وصلاة وتسليما وحمدا وثناء، فوضعها في هذا المقام لم يكن عن ارتجال، بل عن حسن نظر، فابتدر الناس بهذه الأبيات كناية عن أنّه سوف يأخذهم بقوة وعنف.

ومن الكناية قوله:" إنّ أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي.." وهي كناية عن صفة صعوبة الاختيار، والبحث عن الأكفأ، والأصلح لتولي أمر العراق فهو يعود هنا للحديث عن صلابته وقوته لتولي مهمة قتال هؤلاء القوم.

وحين أراد أنْ يعبر عن أنّه لا يخدع ولا يفزع من خوف أحد مهما كان جاء بتعبير " لا يقعقع لي بالشنان" من واقع البداوة، وهي القربة البالية التي تقرع لإخافة البعير وإفزاعه، وهي كناية عن صفة الشجاعة وأنّه الرجل الذي لا يخاف ولا يخدع.

ثم ترد كناية " ولقد فررت عن ذكاء" وهي كناية عن صفة الرجل وسن بلوغ الحكمة؛ والذكاء هو نهاية الشباب فقد احكمته التجارب الكثيرة مع الحرب ومع الخارجين عن الخلافة.

- **الصور الفنية**

إنّ الخطيب هنا لعلمه السابق بطبيعة المتلقين (أهل العراق) أراد أنْ يجعل من شخصيته واليا جديدا عليهم شخصا قويا مهاب الجانب حتى يتسنى له السيطرة وبسط النفوذ عليهم يقول:[1]

أنا ابن جلا وطلّاعُ الثّنايا متى أضعِ العِمامة تعرفوني

صليبُالعُودِ مِن سَلفي رِياح كنَصْل السّيْفِ وضّاح الجَبينِ

وماذا يَبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدَّ الأربعينِ

أخو خمسينَ مجتَمعٍ أشدي ونجذني مداورة الشئونِ

وإنّي لا يَعودُ إليَّ قَرْني غداةَ العبءِ إلا في قَرينِ

لعل في هذه الرواية بعض من ملامح صورة الحجاج بن يوسف هذا الوالي الذي يصور شخصيته في جانبيها المادي والمعنوي، ولعل في الحديث عن الجانب المادي وشخصية الحجّاج نوع من سيمياء العلامات غير اللّغوية.

فتقول الرواية:" بأنّه دخل المسجد عليه عمامة حمراء متلثما بها متنكبا قوسا عربية؛" من هنا تكون بداية الحجّاج في تصوير نفسه بهذا الزي العسكري أو لنقل لباس الأعراب البداة وأثر هذه الصورة على العراقيين ظهر بقول ابن الأثير:" فلما تكلم الحجّاج جعل الحصى ينتثر من أيديهم."[2]

ثم ما لبث أنْ بدأ بتصوير نفسه بمجموعة من التشبيهات فاختار أنْ يشبه نفسه بالسهم القوي لعلمه بما يعني السهم في الواقع الحربي.

وحمله للقوس على كتفه علامة ودلالة على الرغبة في الصراع والحرب فقد أسند إليه عبد الملك بن مروان أمر تربية العراقيين على الطاعة والخضوع ثم نراه يربط بين شكل لباسه ومظهره وبين كلامه وحديثه في الخطبة.

---

[1] **العقد الفريد**، ابن عبدربه، ج208/4

[2] **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ج548/3

من خلال هذا تبدو لنا العلاقة من نوع خاص تشوبها العدوانية والتهيؤ لقمع الأمر، وهذه الصورة تؤكدها الكلمات: ابن جلا، السهم، الكنانة، العمامة، نصل السيف.فالحجّاج معروف بعنفه وقسوته وبمشاهد الدماء التي تفيض من خطبه.

نجح الحجاج في الإفادة من المصادر اللغوية كالقرآن الكريم في قوله: إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا.... ومن الأمثال العربية التي أكثر منها كثرة واضحة قوله: أنا ابن جلا، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضربَ غريبة الإبل.

لا يقرؤون القرآن إلا هجرا ولا يأتون الصلاة إلا دبرا.

في حديث موقوف على الرسول قال: لأنا أعلم بشراركم من البيطار بالخيل هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دبرا ولا يسمعون القرآن إلا هجرا"[1]، وهذا حديث عن أبي هريرة أنّ للمنافقين علامات يعرفون بها:" تحيتهم لغة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجرا ولا يأتون الصلاة إلا دبرا مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون."[2]

[1] **غريب الحديث**، ابن قتيبة، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397، ج272/2

[2] **صفة النفاق ونعت المنافقين**، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: عامر حسن صبري، البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2001، ص101

الفصل الثالث

العنف من خلال نظرية أفعال الكلام

مدخل:

تأسّسَتْ نظريّةُ أفعال الكلام على يد الفيلسوف اللّغويّ الإنجليزيّ جون أوستن، الذي جُمِعَت محاضراته في كتاب طُبِعَ بعد وفاته، وعنوانُه:" كيف نفعل الأشياء بالكلمات". وتنتمي نظريّة أفعال الكلام إلى حقل التّداوليّات في اللسانيات.

فالأفعال الكلاميَّة مفهومٌ تداوليٌّ انْبَثَقَ من مناخ الفلسفة التّحليليَّة؛ وَيَنْصَب اهتمام التّداوليّة على دراسة استعمال اللّغة عِوضًا عن دراسةِ اللّغة.

وتنطلق نظريّة أفعال الكلام من مسلّمة مفادها أنّ اللّغة ليست للإخبار فقط ونقل الأفكار؛ وإنما يمكن أن تتحول الأقوال الصادرة عن المتكلمين ضمن وضعيّات محددة إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعيّة.

يقول محمود نحلة عن نظريّة الأفعال الكلامية ومكانتها ضمن التداولية:" تظل واحدا من أهم المجالات فيه، إن لم يكن أهمها جميعا، بل إنّ التّداوليّة في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلاميّة، فليس بغريب إذن أنْ يعد جون أوستن أبا للتّداوليّة."[1]

وقد ظهرت هذه النظريّة على مراحل متواليّة، فقد ميَّزَ أوستين في المرحلة الأولى من نظريته بين نوعين من الأفعال: أفعالٌ إخباريَّةٌ أو تقريريَّةٌ وهي التي تُخْبِر وتَصِف الواقع الخارجيّ ويُحْكَم عليها بالصدقِ أو الكذب، والأفعال الأدائيَّة أو الإنشائيَّة وهي تُسْتَخدَم لإنجاز فعل، ولا

[1] **آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر**، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص44

تَخْضَع لمقياس الصدق أو الكذب وإنَّما يُحْكَم عليها بالنجاح إذا راعى المتكلِّم شروطَ أدائها؛ وبالإخفاق إذا كان عكس ذلك. وأطْلَقَ على الشروط التي تتحقق بها الأفعال الأدائيّة اسم "شروط الملاءمة" وحَصَرَها في ثلاثة أنماط رئيسة:[1]

أ- 1: وجود إجراء عرفيّ مَقبول، وله أَثَرٌ عرفيٌ محدد كالزواج مثلا وأنْ يشتمل هذا الإجراء على كلمات محددة ينطق بها أشخاص محددون في ظروف محددة.

2: ينبغي أنْ يكون أولئك الأشخاص مناسبين لهذا الإجراء المحدد وأنْ تكون الظروف مناسبة أيضا.

ب- 1: ينبغي أنْ يُؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء صحيحا

2: ينبغي أنْ يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء كاملا

ج- 1: أنْ يَتَضمَّنَ الإجراء نُطْقَ كلماتٍ محددة يَنطِق بها أُناس مُعيَّنون في ظروف مُعيّنة.

2: أنْ يكونَ الناسُ مؤهّلين لتنفيذ هذا الإجراء.

وسمّى أوستين الأفعال التي تُخالِف الشروط الأربعة اسم " الإخفاقات"، في حين سمّى الأفعال التي تخالف شرطا من الشرطين الأخيرين اسم "الإساءات"[2].

لا يمكن فهم مقاصد الخطاب في خطب الحجّاج بعيدا عن فهم السياق الاجتماعي لهذه الخطب، فالسياق يتكون من كل الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية واللغوية والظروف المحيطة ببيئة الاتصال وقطبي الاتصال: المرسل والمستقبل. وتتشكل عناصر السياق من الأحداث التي سبقت إلقاء الخطبة والتي جرت بعدها كذلك .

---

[1] **المصدر السابق،** ص50

[2] **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، محمود نحلة، ص64 و65

وقد رويت مع خطبة الحجّاج التي ألقاها في الكوفة، بعض روايات تشير إلى الأحداث التي سبقت إلقاء الخطبة، وهي ما يمكن أنْ يلتمس العنف فيها؛ ومن هذه الروايات ما ورد في كتاب جمهرة خطب العرب نقلا عن كتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرد رواية عن عبد الملك بن عمير الليثي إذ قال:

" **بينا نحن في المسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، إذ أتى آت فقال: هذا الحجّاج قد قدم أميرا على العراق، فإذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطّى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا، متنكبا قوسا، يؤم المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبّح الله بني أمية، حيث تستعمل مثل هذا على العراق! حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقالوا: أمهل حتى ننظر، فلما رأى عيون الناس إليه، حسر اللثام عن فيه، ونهض، فقال:...**"[1]

ارتبطت فكرة السياق بالعالم الأنثروبولوجي (مالينوفسكي) الذي اعتبر أنّ التواصل والتعبير عن الأفكار ليس الوظيفة الوحيدة للغة بل لها وظائف عدة باعتبارها نوعا من السلوك.[2]

من بعد "مالينوفسكي" جاء "روجر فاولر" ليصنف السياق إلى سياق الجملة (السياق اللغوي) وسياق الموقف وسياق الثقافة وهو تصنيف ينتقل من الضيق إلى السعة[3].

إنّ سياق عنصر ما هو كل ما يحيط بهذا العنصر وعندما تكون "س" وحدة لغوية من طبيعة وكمَ متغيرين (صوت، صرف، كلمة، جملة) فإنّ محيط "س" يكون في الآن نفسه من

---

[1] **جمهرة خطب العرب**، ص288

[2] **علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي**، محمود السعران، دار المعارف، الإسكندرية، 1962، ص338.

[3] **تبسيط التداولية**، محمد بهاء الدين، دار شمس، القاهرة، ط1، 2010، ص24.

طبيعة لغوية (المحيط اللغوي) وغير لغوية (السياق المقامي، الاجتماعي والثقافي)، ويستعمل لفظ "سياق " للإحالة خاصة إمَا إلى المحيط اللغوي للوحدة أو ما يسميه آخرون السياق المقالي "cotxte"، وإمَا إلى مقام التخاطب. وسواء أكان لغويا أم غير لغوي فالسياق يمكن تصوره بطريقة ضيَقة (السياق المباشر) أو واسعة (السياق الموسع) مع العلم أنّ هذا المحور درجات، ففي ما يتعلق بالسياق غير اللّغوي ينتمي إلى السياق الضيق أو الأصغر مثلا: الإطار الزماني والمكاني والمقام الاجتماعي والمحلي الذي ينخرط فيه التبادل التواصلي والمشاركون في هذا التبادل (عددهم، أدوارهم وكذلك العلاقة القائمة بينهم، ونوع هذا النشاط المعني) وينتمي إلى السياق الواسع أو الأكبر جملة عناصر السياق المؤسساتي، يقول كل من: دورانتيوغودوين " السياق يقولب اللغة واللغة تقولب السياق ... وليس السياق مجرد إكراه مسلط على اللّغة لكنه أيضا نتيجة لاستعمالها[1].

وحدد "فان دايك" مفهوم السياق انطلاقا من تحديده لمهام التداولية التي تقوم بصياغة شروط نجاح إنجاز عبارة، وكذا كيفية ترابط شروط نجاح عبارة كفعل إنجازي، بالإضافة إلى أنّها تقوم بوضع الأفعال في موقف معين تتحدد في أي موقف تكون فيه العبارات ناجحة، واستعمل "فان دايك" السياق كمصطلح تقني يقوم بوصف مجرد لموقف فعل كلامي، فهو يرى السياق الوسيلة المثلى لتحديد مواقف الأفعال الكلامية و كذا وصفها وصفا دقيقا[2].

---

[1]– **معجم تحليل الخطاب**، باتريك شوردوا، دومينيك مونغو، ترجمة: عبد القادر مهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس، 2008، ص133.

[2]– **النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي**، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، بيروت، ص258.

أمَا "دل هايمز" فكانت لمقولاته عن الكفاءة التواصلية التي تتجاوز مجرد الكفاءة النحوية والصرفية والصوتية، وفهم المفردات المجردة إلى فهم الموقف والسياق تأثيرها البالغ في تطور التداولية اللغوية، فمن أطروحاته المهمة كلامه عن السياق وعوامله ومتغيراته وفيما يلي بيان وتوضيح ذلك[1]:

1- المكان والزمان: ما يقال في البيت ربما لا يجوز أنْ يقال في المسجد أو الجامعة وما يمكن أنْ نقبله في توقيت بعينه ربما لا نقبله في غيره.

2_ المشاركون: من يتحدث إلى من، وفي حضور من، وما العلاقة التي تربط أطراف الحوار أو الخطاب.

3_ الغايات والأهداف: لماذا نتكلم أو نتحاور أو نكتب ؟ ربما بغرض الإقناع أو الإخبار أو الإيهام أو الترغيب أو الترهيب أو التحذير أو النصح أو التهذيب وغير ذلك.

4_ تتابع وحدات الخطاب /النص و ترابطها: كل خطاب يقع بين خطابين سابق ولاحق ويرتبط بهما فقد يعقب الاعتذار القبول أو الإعراض و يعقب التهنئة الشكر.

5-الحالة النفسية و نغمة الحوار/ النص: يتجاوز مفهوم النغمة في هذا السياق مجرد الحزن و الكآبة أو البهجة إلى غير ذلك من سخرية أو تهكم أو جدية أو وقار.

6- آليات تحقيق الغايات البلاغية والخطابية ووسائلها وأدواتها من مفردات مختارة بعناية وتراكيب ملائمة وصور وتعابير، وتوظيف لأصناف (صنوف) الاتصال غير اللفظي لا حصر لها يمكن أنْ يستخدم المتكلم أو الكاتب من أدوات لتحقيق غاياته البلاغية والتواصلية.

---

[1]- **تبسيط التداولية**، محمد بهاء الدين، ص21.

7_ القواعد التي تحكم إنتاج النص/الخطاب و تلقيه من قواعد لغوية خطابية تنسجم مع جنس الخطاب وغاياته، والقواعد الاجتماعية التي تنظم استخدام اللّغة وإنتاج الخطاب عموما.

وتحدث البلاغيون عن السياق تحت اسم المقام وهو: "مجموعة العناصر التي تتوافر في موقف تخاطبي معين وأهمها زمان التخاطب ومكانه، وعلاقة المتكلم بالمخاطب وخاصة الوضع التواصلي القائم بينهما؛ أي مجموعة المعارف التي تشكل مخزون كل منهما أثناء عملية التخاطب[1].

وربط البلاغيون المقام بالمقال فقالوا:" لكل مقام مقال " ، وصورة المقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام[2]، وقد تنبه البلاغيون إلى دور العناصر المقامية في المقال وتحديد خصائصه، ومن ضمن المصطلحات التي أعطيت للمقام عند البلاغيين مصطلحا (مقتضى الحال) و(قرائن الأحوال).

أوضح الدكتور "تمام حسان "المقصود بالقرائن بقوله:" إنّ السياق كالطريق لا بدّ له من معالم توضحه، ولاشك أن مباني التقسيم وما تبدو فيه من صيغ صرفية وصور شكلية، وكذلك مباني التصريف مع ما تبدو به من لواصق مختلفة تقدم قرائن مفيدة جدا في توضيح منحنيات هذا الطريق، ولكن السياق رغم وضوح الصيغ واللواصق يظل بحاجة إلى الكثير من القرائن الأخرى التي تتضح بها العلاقات العضوية في السياق بين الكلمات"[3].

---

[1]-**المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد**، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص172.

[2]- **اللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسان، ط2، 1979، ص337.

[3]- المرجع نفسه، ص134.

وتشمل مباني التقسيم العناصر التالية: الاسم والصفة والفعل والضمير والظرف والأداة ، في حين تشمل مباني التصريف صور التعبير عن معاني الشخص ، العدد، النوع والتعيين، وقد قسم القرائن إلى ثلاثة أنواع: قرائن عقلية، قرائن مادية وقرائن التعليق وأوضحها بالمخطط التالي:[1]

القرائن:

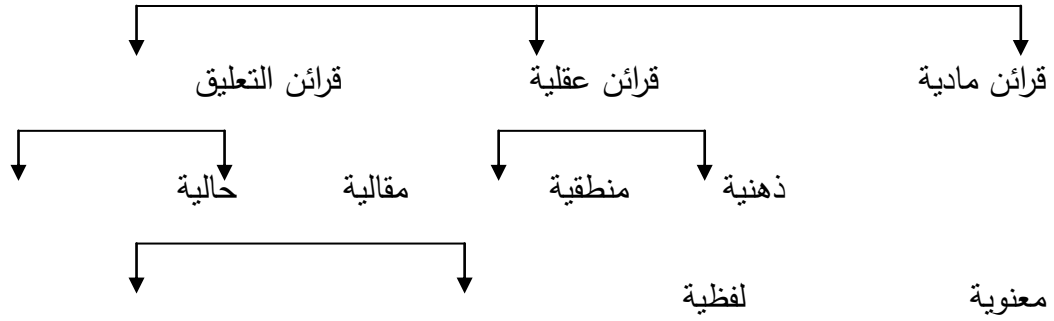

وتتضافر هذه القرائن لإيضاح معنى النص " فالقرائن كلها مسؤولة عن أمن اللبس وعن وضوح المعنى ولا يستعمل واحدة منها بمفردها، وإنما تجتمع القرائن متضافرة لتدل على المعنى وتنتجه"[2].

وعن دور القرائن اللغوية نجد "ابن جني" يذهب إلى أنّ نقل المقال لا يكفي لفهم معناه ويقصد بالمقال ما يروى من أقوال طبيعية بما فيها الأشعار كما قيلت من طرف أصحابها، بل على دارس الشعر أنْ يبحث في أحوال الرواة حال نقلهم للشعر، وما أحاط بهم من قرائن لفهم

[1] **اللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسان، ص180

[2] المرجع نفسه، ص232.

أقوالهم "إذ ليست كل حكاية تروى لنا ولا كل خبر ينتقل إلينا يمكننا أن نشرح به الأحوال التابعة له المقترنة به[1].

إن الأقوال المرويَة تحمل معها معلومات، ولكنها غير كافية لتشكيل المعنى، وما يُتِمُّ عمل هذه المعلومات هو ما يحمله السياق من قرائن تساهم في الكشف عن المعنى، كما أنّ الجمل والملفوظات بلغة التداوليين تحتاج إلى التمام السياقي، أي أنْ تكون الجملة أو الملفوظ غير كاملة في حد ذاتها، لكنها كاملة إذا أُخذ سياقها بعين الاعتبار[2].

إنّ حال المتكلم أثناء التلفظ بالخطاب من أهم العناصر التي تسمح للمستمع بالكشف عن معنى الخطاب، وكذا الحكم عليه وتبيَن نوعه، ويتضح اهتمام البلاغيين بالسياق في دراسة تركيب اللغة، أو ما سماه "عبد القاهر الجرجاني" بالنظم " "واعلم أن ليس النظم شيئا إلا توخي معاني النحو وأحكامه وجوهره وفروقه فيما بين معاني الكلم[3]".

أورد المسعودي في مروج الذهب:" قال عبيد الله بن يزيد بن أبي مسلم الثقفي عن أبيه قال: كان الحجاج عاملا لعبد الملك على مكة، فكتب إليه بولايته على العراق، قال: فخرج وخرجت معه في نفر ثمانية أو تسعة على النجائب، فلما كنا بماء قريب من الكوفة نزل واختضب وتهيأ، وذلك في يوم جمعة، ثم راح معتما قد القى عذبة العمامة بين كتفيه متقلدا سيفه حتى نزل عند دار الإمارة عند مسجد الكوفة، وقد أذن المؤذن بالأذان الأول لصلاة الجمعة وخرج عليهم، فسكت، وقد اشرأبوا إليه، وجثوا على الركب، وتناولوا الحصى ليقذفوه بها ويخرجوه

---

[1]– **الخصائص**، ابن جني، تحقيق، محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج1، ص246.

[2]– **الأسس الأبستمولوجية والتداولية**، إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، ط1، 1994، ص304.

[3]– **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط1، 1983،ص382.

عنهم قال: وقد كانوا حصبوا عاملا قبله، فخرج عنهم، فسكت سكتة أبهتهم بها، وأحبوا أن يسمعوا كلامه قال: فكان بدء كلامه أن قال:..."[1]

ترسم هذه الرواية بعض الشروط الاجتماعية التي لجأ إليها الحجّاج عند خطبته، وهي تعرض المقام الاجتماعي للمتكلم، فهو قد دخل المسجد في يوم جمعة وبحسب بعض الروايات كان المؤذن قد أذن الأذان الأول[2].

إنّ خطيبا (المتكلم) بتلك الصورة فيه من العنف ما فيه؛ وتهتم التداولية وخصوصا السيميائية بالعلامات اللسانية؛ وهناك علامات غير لسانية يمكن تقسيمها إلى علامات عضوية صادرة عن الجسد وأخرى غير عضوية كالملابس والألوان.

ثم إنّه قد اتخذ إجراء يزيد من طقوس وضعه؛ إذ أتى آت قبل قدوم الحجّاج وأخبر بمقدمه. فالحجّاج هنا سيلقي خطبة على مسمع أهل الكوفة انطلاقا من مقامه الاجتماعي وهو كونه الوالي الجديد؛ و"ليست سلطة الكلام إلا السلطة الموكولة لمن فوّض إليه أمر التكلم والنطق بلسان جهة معينة."[3]

يمكن تلمس ما يشير إلى العنف من أحوال المتكلم نفسه ومن سياق ما قبل الخطبة الذي ورد في الرواية:

---

[1] **مروج الذهب**، ج154/3

[2] ينظر :**مختصر تاريخ دمشق**، ابن منظور، دار الفكر، بيروت، ط1، 1984،

[3] **الرمز والسلطة**، بيير بورديو، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط3، 2007، ص57

- **متقلدا سيفا**

إنّ تقلد السيف يشير إلى العنف الصادر عن المتكلم؛ فالسيف من أدوات الحرب، وهي تحديدا أدوات للهجوم، وليست للدفاع، فهو هنا يظهر بمظهر عسكري يعكس الحرب والقتال. وهي إجراءات تزيد من إقبال الجمهور نحو المتكلم وتعتبر مكملة للموقف الخطابي.

والسيف مأخوذ من قولهم ساف إذا هلك لأنه يقع به الهلك، وجمعه أسياف وسيوف وأسيف. و"قد ذكر صاحب القاموس المحيط أن أسماء السيف تنيف على ألف وينسب السيف إلى المكان الذي طبع فيه فيقال هندي ومهند وإذا طبع باليمن سمي يمان ومشرفي فيما طبع بالمشارف وهي قرى من قرى العرب قريبة من العراق والناس يبالغون في تحلية السيوف فتارة ترصع بالجواهر وتارة يحلونها بالذهب وتارة يحلونها بالفضة."[1]

والسيف أحد أدوات السلطان لضبط الدولة؛ له مكانة مهمة عند العرب، ولم يكن أداة قتال أو زينة فحسب، بل كان رمزا للعزة، وقيل: لا تزال العرب عربا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف.

وقد اشتهرت عند العرب أنواع من السيوف منها المشرفية وسميت بذلك نسبة إلى مشارف جمع مشرف ويراد بها قرى العرب التي تدنو من الريف وقيل نسبة إلى رجل من ثقيف. وكانت العرب تقول:" السيف ظل الموت ولعاب المنية وكانت تكنيه أبا الوجل. وقيل إن العرب كانت تطعن به كالرمح وتضرب به كالعمود وتقطع به كالسكين وتجعله سوطا ومقرعة وتتخذه جمالا في الملأ وسراجا في الظلمة وأنسا في الوحدة وجليسا في الخلاء وضجيعا للنائم ورفيقا للسائر

[1] ينظر: **أدوات الحرب في الشعر الجاهلي(المفضليات الجاهلية أنموذجا)**، حمدي محمود منصور، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الأول، العدد1، 2014، ص17

وتسميه عطافا ووشاحا وعصا ورداء وثوبا. وهو قاضي القتال وفيصل الحكم بين الرجال وبذلك كله وردت الأشعار وصارت الأمثال والأخبار."[1]

- **متنكبا قوسا**

القوس كذلك أداة من أدوات القتال؛ وقد روي أن العرب يخطبون على قوس في خطب الحرب.

والقوس مؤنثة، وتصغيرها قويس، وجمعها أقواس وقياس وقسي ولها أجزاء وأسماء. وهي أداة من أدوات الحرب ويرمى بالقوس في أول القتال لإعاقة تقدم العدو ويكون الرمي بها رشقا على دفعات وبالسهم. ويراش السهم بريش الطيور، من أسماء القوس الماسخية وهي المنسوبة إلى ماسخة رجل من الأزد وهو أول من عمل القسي من العرب و"كان الرسول يخطب قائما أو متوكئا على عصا وكان إذا خطب في الحرب خطب على قوس وإذا خطب الجمعة خطب على عصا."[2]

وكل ما انعطف وانحنى فقد استقوس وتقوس. وهناك من الشعوبية من اعترض على اتكاء الخطباء على أطراف القسي عند الخطب.

---

[1] **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، ابن هذيل الاندلسي، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، 1951، ج42/1

[2] **جامع الأحكام الفقهية من تفسير القرطبي**، جمع وتصنيف: فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ج264/1

- **معتما بعمامة حمراء**

قد يفصح اللباس عن شيء من الشخصية؛ وتشير الرواية إلى أن الحجّاج كانت معتما بعمامة حمراء، "واللون الأحمر في العمامة كان شعار الفرسان، وعمامة الحرب حمراء، وذلك إذا سوّدوا شخصا أي جعلوه سيّدا عمموه بعمامة حمراء"[1]؛ وهو "لون الدم والعنف لون هجومي يرمز إلى القوة والقدرة والصمود."[2]

وللعمامة مكانة كبيرة عند العرب، وفي الخبر: العمائم تيجان العرب ولطريقة ارتدائها ولونها دلالات مخصوصة، وهي لباس عربي وفي لسان العرب:" والعرب إذا سوّدوا رجلا (جعلوه سيدا) ألبسوه عمامة حمراء، وقيل عمامة الحرب حمراء"[3]، واعتبرت العمامة من لباس الفرسان وقد كانت العمامة تعد عند الخلفاء من مظاهر الهيبة، وكانوا يتفننون في لبسها.

واختار الحجّاج عمامة حمراء، والأحمر لون الدم والعنف وهو لون هجومي يرمز إلى القوة والقدرة والصمود، وهو أقوى الألوان لفتا للنظر.

وقد يكون للباس الخطيب تأثير كبير في عملية التواصل وقد تلفتت لذلك العرب فتحدثوا في مؤلفاتهم عن لباسه وهيئته؛ و" الألبسة إشارات تدخل في تشكيل مختلف نماذج الإيصال الاجتماعي"[4] وهي أشكال رمزية أودعها الإنسان تجربته لتصبح قابلة للإبلاغ. "ومظهر الخطيب فرع من بيانه والمظهر ينبئ عن المخبر."[5] وقصة إياس بن معاوية المزني مشهورة في هذا

---

[1] **العمامة في الجاهلية والإسلام**، محمد وهيب جبوري، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، ع:8، 1985، ص380

[2] **معجم الألوان والمسميات المرتبطة بها**، سليمان النعيمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2000، ص71

[3] **لسان العرب**، مادة "عمم"

[4] **علم الإشارة: السيميولوجيا**، بييرجيرو، ترجمة منذر عياشي وتقديم مازن الوعر، ط1، 1988،

[5] **الخطابة والخطيب**، محمد سمير الشاوي، دار الأمير، بيروت، ط1، 1994،

المجال حين أتى حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميما باذّ الهيئة قشفا فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقال له:" الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك."[1]

- **فمكث ساعة لا يتكلم**

طرق الأداء: هذه الطرق وردت إشارات عند الجاحظ للتعبير عنها، وهي ترافق كيفيات النطق بالخطاب وما يجاوره من الكلام واقفا أو جالسا علو الصوت وانخفاضه ولقد رافقت روايات خطب الحجاج معلومات وافية عن طريقة كلامه وبعض إشارات رافقت كلامه، وهو ما قد ينطوي على دلالات معينة ويستنتج على إثرها معلومات تبرز جوانب شخصية الحجاج.

يحمل الصمت دلالات عديدة وهو من مظاهر الهيبة فقد قالوا: استكثر من الهيبة صامت.

وأما عن المخاطبين وهم أهل الكوفة فيظهر ميلهم للعنف من خلال ما أوردته الرواية من أنهم قد تناولوا حصى وأرادوا أن يحصبوا الحجّاج به.

في مرحلة تاليّة من النظريّة حاول أوستين مراجعة وتعديل هذه التقسيمات التي وضعها للتمييز بين الأفعال الإخباريّة والأفعال الأدائيّة؛ فرأى أنَّ الفعل الكلاميّ مركب من ثلاثة أفعال تُشكِّل كيانًا واحدًا لا يفصل أحدها عن الآخر إلا لأغراض الدرس، وهي:[2]

1- فعل القول أو الفعل الصّوتيّ أو اللفظيّ أو الفعل اللّغويّ ويتمثّل في التّلفُظ بجمل مفيدة ذات بناء نحويّ صحيح يَنتُج عنه المعنى الأصليّ.
2- فعل مُتَضمَّن في القول أو الفعل الغرضيّ أو الإنجازي ويُقْصَد به ما يؤديه الفعل اللّفظيّ من وظيفة في الاستعمال.

---

[1] **البيان والتبيين**، 31/1

[2] ينظر: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، محمود نحلة، ص45 و46

3- الفعل الناتج عن القول أو الفعل بواسطة القول أو الفعل التّأثيريّ وهو ما يتركه الفعل الإنجازي من تأثير في السامع أو المخاطب سواء كان التأثير جسديا أم فكريا والغاية منه حمله على اتخاذ موقف أو تغيير رأي.

ويُعَدُّ الفعل الإنجازيّ هو العمدة والركيزة في الكلام؛ ركَّز أوستين عنايته عليه حتى سميت نظريته بالنظرية الإنجازيّة. وهذا الفعل يرتبط بمقصد المتكلم، وعلى السامع أن يبذل جهده في سبيل الوصول إليه، ولهذا يلعب مفهوم القصديَّة دورا محوريًّا في نظريَّة أفعال الكلام.

ثمَّ قام أوستين بتجميع أو تصنيف جميع الأفعال اللغوية في خمس فصائل كبرى حسب قوتها الإنجازية، تحتوي:"الحكميات، والإنفاذيات، والوعديات، والسلوكيات، والعرضيات."[1]

ألقى الحجّاج عند توليّه إمارة الكوفة خطبة جمع فيها خصائص شخصيته؛ يقول الأستاذ محمد خلف الله:" عنصر الذات يحتل المكان الأول فيها ويظهر أن عصاميّة الحجّاج وكونه قد بنى صرح شهرته بيمينه كان لها أثر كبير في تنمية إحساسه واعتزازه بها واشتغاله بالحديث عنها." فهو في مطلع التعريف بشخصيته يميل للإيحاء إلى المستمعين ببعض خواصه المؤهلة له واليا عليهم وهذا يتفق مع خطب كثيرة في هذا السياق.

تتسم بنية الخطبة بغياب الافتتاح الديني فيها ويمثل الافتتاح فعلا كلاميا، فقد صار الاستهلال بمقدمة دينية تقليدا راسخا في الخطبة العربية، ولعل المتداول في الخطابة العربية أن يبتدئ الخطيب بحمد الله والصلاة على رسوله، " فمن سمات الاستهلال الجوهرية الأخرى، علاقته بالمجتمع، أي أنه أكثر الأجزاء الفنية في العمل تجسيدا لهذه العلاقة؛ فالمفردات القليلة التي يبتدئ الاستهلال بها هي جزء من بنية عادة راسخة في المجتمع أو جزء أو تقليد سابق

[1] ينظر: المصدر السابق، ص46

جرى تداوله، فالاستهلال ضمنا يحمل تاريخا وتقليدا ما، وله بعد ذلك أعراف بناء، وطريقة قول، وقد يكون أقرب في حالات ما إلى المبدأ الشفاهي في القول والعمل."[1]

إنجازية الافتتاح في ظل غياب حمد الله تمثلت بتساقط الحصى وصمت الحجاج قال عنه الناس: "أعرابي ما أبصر حجته، أو حصر الرجل فما يقدر على الكلام."[2]

ومن خطب الحجّاج التي حذف منها صاحبها الاستهلال الديني خطبته في الكوفة لمّا تولى إمارتها وهو ما أكّدت عليه الروايات:" والله ما حمد الله ولا أثنى عليه ولا صلّى على نبيه وكان أول ما بدا به أن قال:..."[3] ويمثل حذف الخطيب تمردا على الإجراءات التقليديّة في الخطابة العربية وذلك في غياب قصدي لحمد الله والصلاة على رسوله.

ويظهر التأثير لهذا الفعل الكلامي بما ذكرته الروايات: وكان بعضهم قد أخذ حصى ليحصبه بها فلما سمعوا كلامه تساقط الحصى من أيديهم حزنا ورعبا.

وعن تأثير الافتتاح الشعري الذي بدأ الحجّاج به قال:" هي أبيات تعلن الحرب على أهل الكوفة"[4]،وذكروا كذلك أن "الناس قد ازدحمت على أبواب الجسر، ليتوجهوا إلى قتال الخوارج مع المهلب بن أبي صفرة ."[5]

ويظهر موقف آخر يشير إلى العنف فقد أمر الحجّاج الغلام أن يقرأ كتاب عبد الملك بن مروان فلما وصل إلى قول السلام على من بالكوفة من المسلمين ولم يقل أحد شيئا. قال

---

[1] **الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي**، ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط3، 2017، ص27

[2] **مروج الذهب**، المسعودي، ج3، 154

[3] **المصدر السابق**،ج404/1

[4] **في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا**، محمد العمري، ص40

[5] **تاريخ الأمموالملوك**، الطبري، ج207/6

الحجّاج:" أيسلّم عليكم امير المؤمنين السلام فلا يرد أحد منكم هذا والله أدب ابن نهية؛لأودبنَّكم غير هذا الأدب. يا غلام أعد قراءة الكتاب فلما وصل إلى قوله: السلام على من بالكوفة من المسلمين لم يبقَ أحد في المسجد إلا وقال: وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته.

أورد الطبري" قال عمر عن أبي الحسن، قال: لمّا قرا عليهم كتاب عبد الملك قال القارئ: أما بعد، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله. فقال له: اقطع، يا عبيد العصا، أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يردَّ رادٌّ منكم السلام! هذا أدب ابن نهية، أما والله لأدبنكم غير هذا الأدب، ابدا بالكتاب، فلما بلغ إلى قوله: أما بعد، سلام عليكم، لم يبقَ منهم أحد إلا وقال: وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله."[1]

سكت الحجّاج وهو ما عبرت عنه الروايات بتعبيرات مختلفة" مكث ساعة لا يتكلم، لما طال سكوته، جلس واضعا إبهامه على فيه، فسكت سكتة أبهتهم بها). ولهذا الصمت ما يفسره،فلعله أراد أن يجتمع الناس " فلما غص المسجد بأهله" أو هو إجراء قد يزيد من تشوق السامعين نحو الكلام؛ خصوصا أن أحد الروايات قالت:" وأحبوا أن يسمعوا كلامه"[2].

إنّ العلاقة بين المتكلم (الحجّاج) والمخاطبين (أهل الكوفة) تبدو علاقة مختلفة وقد أوردت كثير من المصادر التاريخية ما يشير إلى توتر العلاقة بين الطرفين؛ فقد ذكروا أن الحجّاج كان يشتكي من سوء طاعة أهل العراق،" ولعلّ العلاقة بين الخطيب والجمهور هنا تبدو جديدة وعلى

[1] **المصدر السابق**، ج208/6
[2] **مروج الذهب**، المسعودي، ج404/1

درجة من الخصوصية والتغاير أيضا فهي علاقة عدوانية تجاوزت كثيرا من سماحة الخطابة الأولى."[1]

وحذف الاستهلال في سياقات معينة والخروج عن النمطية المألوفة موجود في الثقافة الدينية إذ حذفت البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم من أول سورة براءة؛ ولعل المفسرين فسّروا ذلك بقولهم: بأنه لا تجتمع الرحمة مع السيف.

ابتدأ الحجّاج متمثلا فقال:

أنا ابن جلا وطّلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

يستوقف الضمير (أنا) الوارد في صدر البيت القارئ كونه يصدر عن متكلم هو الحجّاج معتز بنفسه، "وألف المد التي ينتهي بها الضمير (أنا) يترافق نطقها مع رفع الرأس المصاحب لحس الشموخ الذي يملأ وجدان الإنسان العربي الأول الذي أنتج اللغة ويتماشى مع رغبة في الاستعلاء على الآخر".[2]

على الرغم مما بذله أوستين في سبيل إقامة نظريّة متكاملة لأفعال الكلام فإنه لم يُوفَّق كل التوفيق، "على أن ما قدّمه أوستن لم يكن كافيا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، لكنه كان كافيا ليكون نقطة انطلاق إليها بتحديده لعدد من المفاهيم الأساسية فيها، وبخاصة مفهوم الفعل الانجازي الذي أصبح مفهوما محوريا في هذه النظرية، حتى جاء جون سيرل فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليهاوكان ما قدمه عن الفعل الانجازي والقوة الانجازية كافيا لجعل

---

[1] **الأداء الخطابي بين عصر صدر الإسلام وبني أمية**، مي يوسف خليف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص70

[2] **سيميائية الضمير أنا في الدلالات وبناء التأويل**، ابن السائح الأخضر، مجلة سمات، جامعة البحرين، مركز النشر العلمي، 2014، ص132

الباحثين يتحدثون عن نظرية سيرل في الأفعال الكلامية بوصفها مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستن."[1]

يُعَدُّ سيرل واضع الأسس المنهجيّة لنظريّة أفعال الكلام ومرسي قواعدها ومطوّر أفكارها وتنهض أفكاره على المبادئ التالية:[2]

1- يُعَدّ الفعل المتضمن في القول هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وللقوة الإنجازية دليلا يُبيّن نوع الفعل الإنجازيّ الذي يؤديه المتكلم حين نطقه الجملة كالنبر والتنغيم وصيغ الفعل.

2- الفعل الكلامي لا يقتصر على مراد المتكلم بل يرتبط أيضا بالعرف اللّغويّ والاجتماعي.

3- صنَّف الأفعال الكلاميّة إلى خمسة أصناف وهي:

أ- الإخباريّات أو التقريريّات مثلا: إن عليا عاش بقدر

ب- التوجيهات أو الأمريّات أو الطلبيّات مثلا: اعرفوا، اعلموا، لا تميلوا، أوصيته، لا يقبل.

ت- الالتزاميّات أو الوعديّات، يقول سيرل عنها:" هو تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل الممثل في المحتوى الخبري وتتوفر نماذج على الإلزاميات في المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات والتهديد إلزامي أيضا ولكنه بخلاف بقية النماذج ضد مصلحة المستمع ولا يعود عليه بالنفع"[3] والوعد المشفوع باستعمال فعل إنجازي كالقسم أقوى من غيره الذي يظهر لمجرد الوعد. من ذلك قول الحجّاج (إني لأحمل، أجزي، أرى، حان، أنظر) جاء بكثرة مصحوبا بالقسم كقوله: اما والله لألحونكم... فهو يتعهد بأنه سيذيق أهل العراق العذاب الشديد

---

[1] **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، محمود نحلة، ص47

[2] ينظر: المصدر السابق، ص 47 و48

[3] **العقل واللغة والمجتمع**، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف(الجزائر) والمركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم(بيروت)، ط1، 2006، ص218

القاسي. وكقوله: لو أدركته لضربته عنقه؛ فالحجّاج هنا يتعهد بضرب عنق عبدالله بن مسعود ولكن بشرط إدراكه وهو يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب.

ث- التعبيريّات أو البوحيّات

ج- الإعلانيّات أو الإيقاعيّات

فرّق أوستين بين الأفعال اللفظيّة والأفعال الإنجازيّة، ثم خطا خطوة مهمة، فميّز بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال غير المباشرة.

هناك مثلا أفعال الأمر وهي تؤدي معنى نحويا أولا، كما تؤدي معنى الإهانة والحط من الشأن، وهذه معان تداولية حددها السياق كما أن الاستفهام يخرج لمعان أخر، وقد وردت كثير من أنماط الاستفهام في خطب الحجّاج لتفيد التوبيخ.

التحذير والتهديد

يمكن الاستدلال على العنف كذلك من خلال الاستعمال اللّغوي في خطب الحجّاج وأول ما يمكن أن يظهر هو **التهديد والتحذير**. ويتضح ذلك من الأساليب التي استعملها الحجّاج فكما هو معروف فإن الباحثين اعتبروا نظرية الإنشاء والخبر هي القاعدة الأساسية ضمن علم المعاني عند البلاغيين القدماء جانبا يمكن أن تتشابه به نظرية الأفعال الكلاميّة بين العرب والغرب.

والخبر كما يقول السكاكي هو" الكلام المحتمل للصدق والكذب"[1]، أما الإنشاء فهو " الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه."[2]

وينقسم الإنشاء إلى طلبي وغير طلبي؛ وعرّف البلاغيون الإنشاء الطلبي بأنه" ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب امتنع اجراؤه على المعنى الحقيقي، وكان من الواجب تأويله بما يناسب المقام وأهم أنواع الإنشاء الطلبي تقع في خمسة أقسام:"الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء."[3]

أما الإنشاء غير الطلبي فهو" ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب أو هو ما لا يستلزم مطلوبا ليس حاصلا وقت الطلب" ومن أساليبه: (المدح والذم والتعجب وصيغ العقود والقسم والرجاء."[4]

ومن الأساليب الانشائية التي اهتم بها البلاغيون: الأمر والنهي والاستفهام والنداء.

والاستفهام في اللغة طلب الفهم. قال ابن منظور:" فَهِمْت الشيء عَقلته وعرفته، وأفهمته الأمر وفهّمه إياه جعله يفهمه واستفهمه: سأله أن يفهّمه وقد استفهمني الشيء فأفهمته."[5]

---

[1] **مفتاح العلوم**، السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1997، ص252

[2] **في البلاغة العربية(علم المعاني)**، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2009، ص69

[3] **المصدر السابق**، ص74

[4] **التلخيص في علوم البلاغة والبيان والبديع**، الخطيب القزويني، شرح عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1904، 151-153

[5] **لسان العرب**، مادة "فهم"

أما اصطلاحا: "فهو طلب ما ليس عند المستخبر"[1] وهو يعد أحد أساليب الإنشاء الطلبي ويكون بأدوات سميت بأدوات الاستفهام.

الاستفهام هو " طلب ما ليس عندك أو طلب الفهم، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما بواسطة أداة من أدوات الاستفهام، مثل الهمزة، ومن، وأين، وكيف، وغيرها، وتنقسم هذه الأدوات من حيث ما يطلب بها إلى ما يطلب به تصور أو تصديق أمر ما، وما يطلب به تصديق أمر ما فقط، وما يطلب به تصور أمر ما فقط"[2] و"حقيقة الاستفهام الاستخبار وقد يخرج عن حقيقته لاعتبارات سياقية."[3]

قال سيبويه:" أتميميا مرة وقيسيا أخرى، وإنما هذا أنك رأيت رجلا في حال تلون وتنقل فقلت أتميميا مرة وقيسيا أخرى، كأنك قلت:أتحول تميميا مرة وقيسيا أخرين فأنت في هذا الحال تعمل على تثبيت هذا له، وهو عندك في ذلك الحال في تلون وتنقل وليس يسأل مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه ولكنه وبخه بذلك."[4]

وللاستفهام قسمان: حقيقي ومجازي. قال ابن فارس عن الاستفهام الحقيقي:" طلب خبر ما ليس عند المتكلم، أو هو ما سبق أولا، ولم يفهم حق الفهم، فطلب فهمه من المخاطب فإذا سئل عنه ثانيا كان استفهاما."[5] وقد يخرج الاستفهام عن الغرض الأصلي إلى أغراض مجازية عديدة؛ عديدة؛ مثل: الأمر، النهي، النفي، التشويق،التعجب، التمني، التهكم، التحقير، التسوية،

---

[1] **الصاحبي في فقه اللغة**، ابن فارس، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن البسج، دار الكتب العمية، بيروت، ط1، 1997، ص134

[2] **عروس الافراح**، بهاء الدين السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، 423/2

[3] ينظر: **أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه –إعرابه**، عبد الكريم محمد يوسف، مطبعة الشام، دمشق، ط1، 2000، ص17

[4] **الكتاب**، سيبويه، ج343/1

[5] السابق نفسه، ص181

الاستبطاء، الاستبعاد، التعظيم، الإنكار، التوبيخ، الحسر، الاستئناس، التنبيه، التكثير، الوعيد."[1]

يخرج الاستفهام إلى معنى التوبيخ كقول الحجّاج في خطبته بعد وقعة دير الجماجم: "**ألستم أصحابي بالأهواز؟ حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر؟" وقوله: ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟ كيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجزكم إسلام أو ينفعكم بيان؟**"[2]

النهي لغة: المنع، يقال:" نهيت الرجل عن الأمر أنهاه نهيا" وقال تعالى:﴿أَرَءَيْتَٱلَّذِييَنْهَىٰ ۝٩﴾[٣] وقال الجرجاني في التعريفات إن النهي:" قول القائل لمن دونه: لا تفعل"[4]

أما اصطلاحا فيقول سيبويه:" النهي نهي الأمر؛ قال: لا تضرب " نفي لقوله اضرب"[5] وقال ابن السراج:" إذا قلت قم، إنما تأمره بأن يكون منه قيام، فإذا نهيت فقلت: لا تقم، فقد أردت منه نفي ذلك، فكما أن الأمر يراد به الإيجاب فكذلك النهي يراد به النفي."[6]

ويعتبر النهي عنصرا من عناصر الإنشاء الطلبي، واشترط البلاغيون فيه شرط الاستعلاء فقالوا في تعريفه هو: طلب الكف عن شيء على وجه الإلزام والاستعلاء. والنهي هو طلب المتكلم من المخاطب الكف عن الفعل على سبيل الاستعلاء ويكون بصيغة المضارع تدخل عليه لا الناهية كقوله تعالى:﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاأَمْوَٰلَكُمبَيْنَكُمبِٱلْبَٰطِلِوَتُدْلُوابِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِلِتَأْكُلُوافَرِيقًامِّنْأَمْوَٰلِٱلنَّاسِبِٱلْإِثْمِوَأَنتُمْتَعْلَمُونَ ۝١٨٨﴾[٧]. ويخرج إلى معنى التهديد كأن تقول: لا لا تذهب إلى مجالس السوء. واتفق العلماء على أن هذه الصيغة المخصوصة للنهي؛ أي

---

[1] **مدخل إلى البلاغة العربية**، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، 2010، ص76

[2] **جمهرة خطب العرب**، ص 293و294

3سورة العلق:9

[4] **التعريفات**، الجرجاني، تحقيق عبد الرحمان عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987، ص1

[5] **الكتاب**، سيبويه، ج136/1

[6] **الأصول في النحو**، ابن السراج، تحقيق الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف، 1973، ج163/2

7سورة البقرة:188

المضارع المقرون بلا الناهية (لا تفعل) سواء أسندت إلى المفرد أو المثنى أو الجمع أو كانت للمخاطب أو الغائب أو المتكلم؛ والأمر ضد النهي معروف.

وقد توافرت في خطب الحجّاج مجموعة من النواهي كقوله:[1]

- لا تشهدوا معنا
- لا تقاتلوا معنا

فهو هنا يوجه كلامه إلى أهل الكوفة، ويناهم عن أن يشهدوا قتال العدو أو أن يقاتلوا في المعركة، والنهي هنا للتوبيخ والتحقير والإهانة.

وعرف السكاكي**الأمر** بأنه "طلب فعل على وجه الاستعلاء والإلزام"[2] وقد ينزاح في معناه عن الأصل الذي وضع له، فيخرج إلى معاني التهديد حسب السياق الذي يحدد ذلك. وقد وردت مجموعة من أفعال الأمر تدل على قوة السلطة والهيمنة في إحدى خطب الحجّاج وهي:" **يا أهل الكوفة، لا أعزّ الله من أراد بكم العز، ولا نصر من أراد بكم النصر، اخرجوا عنا ولا تشهدوا معنا قتال عدونا، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملا، ومن لم يكن شهد قتال عتّاب بن ورقاء.**" [3]وأفعال الأمر في هذه الخطبة التي تدل على الإهانة والتحقير هي:

- أخرجوا عنا
- الحقوا بالحيرة
- انزلوا مع اليهود والنصارى

---

[1] **جمهرة خطب العرب**، ج465/2

[2] **مفتاح العلوم**، السكاكي، ص318

[3] جمهرة خطب العرب، ج465/2

ويظهر التهديد هنا بما تشير إليه هذه الأفعال فقد طلب منهم اللحاق بالحيرة والحيرة – بكسر الحاء – هي مدينة في العراق كانت موطنا لليهود والنصارى، وفي هذا ذم لهم بأنهم ليسوا مسلمين. وقوله " انزلوا مع اليهود والنصارى" من باب العنف الرمزي والإساءة اللفظية.

النداء اصطلاحا: "طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص."[1] أو هو " طلب الإقبال بحرف نائب مناب " أدعو" ملفوظ به أو مقدر والمراد بالإقبال ما يشمل الإقبال الحقيقي والمجازي، المقصود به الإجابة كما في نحو يا الله."[2]

وقد ورد أن الحجّاج كان يقول:" **يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق**" فمناداتهم بأنهم أهل شقاق ونفاق إنما هو" دليل على عدم ثبات أرائهم وميولهم السياسية."[3]

يتعلق الأمر في الحكميات بإصدار حكم شيء ما وتصدر هذه الأفعال عن سلطة تشريعية وتنفيذية. ومن أمثلة هذه الأفعال الحكم الذي أطلقه الحجّاج على أهل الكوفة فقال: **فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**"[4]

فالحجّاج هنا يوبخهم من خلال تناص قرآني يبدو أثر ذلك فيه واضحا. وهذه الآية الكريمة نجد لها ذكرا في رسالة وجهها معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب يطالبه فيها بقتلة عثمان بن عفان فقال له:" اعلم أن هذه الآية نزلت فيك وفي أهل العراق معك".

---

[1] **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1972، ج133/2

[2] **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، الصبان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج133/3

[3] **هل العراقيون أهل شقاق ونفاق؟**، إبراهيم الحيدري، ahewar.org، 2015

[4] جمهرة خطب العرب، ج290/2

الآية : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾[1]

"اتهم معاوية عليا نفسه بقتل عثمان، وذلك حين تواطأ مع القتلة حسب ما يدعي ليزيد من شدة عداء أهل الشام لعلي، ولضمان ولاء أهل الشام له، وظلت حجة قتل عثمان السلطة التي يستمد منها قوته الحجاجية في كل رسائله، وظلت الحائل الذي يقف بين معاوية والبيعة وجاء في خطابه الى علي " رمت أمرا لم يرك الله تعالى له أهلا، ورقيت سلما وعرا، وحاولت مقاما دحضا وادعيت ما لم تجد عليه ناصرا ولعمري لو وليتها حينئذ لما ازدادت إلا فسادا واضطرابا ولا أعقبت ولايتكها إلا انتشارا وارتدادا لأنّك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه المستطيل على الناس بلسانه ويده وها أنا سائر اليك في جمع من المهاجرين والأنصار تحفهم سيوف شامية ورماح قحطانية حتى يحاكموك إلى الله فانظر لنفسك وللمسلمين وادفع إلي بقتلة عثمان فإنهم خاصتك وخلصاؤك والمحدقون بك فإنْ أبيت إلا سلوك اللجاج والإصرار على الغي فاعلم أنّ هذه الآية نزلت فيك وفي أهل العراق معك قال تعالى:﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾[2]"[3]

1سورة النحل:112

2سورة النحل:112

3**جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص368

الحِجاج:

من الجيد ذكر كلام عن الاستمالات ومكانتها في النظريات التداولية قبل أن نذكر نوعها في خطب الحجّاج بن يوسف الثقفي.

والاستمالات تندرج ضمن الحجاج في التداوليات وقد جاءت خطب الحجّاج بديلا عن الصدام والعنف؛ خصوصا خطبته بعد مقتل ابن الزبير حيث كان الموقف يتطلب تنافرا بين الفرق المشتركة، وهذا الهدف نفسه الذي حدده بيرلمانوتيتيكاه للحجاج على أنه بديل للعنف.[1]

إن نظرية التواصل اللساني تنطلق من معرفة كيف نتواصل أكثر من معرفة ما يتم إيصاله؛ وهذا ما يهتم به الحجاج كذلك فهو أحد الموضوعات الرئيسة في اللسانيات التداولية؛ فلا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل. و"الخطابة فن المخاطبة بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة وهي نمط يعتمد الحجاج طلبا للإقناع."[2]

ورد عند ابن منظور في مادة (حجج):" يقال حاججته، أحاجه حجاجا حتى حججته: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة: البرهان وقيل: الحجة: ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج، أي جدل وفي الحديث: فحج آدم موسى: أي غلبه بالحجة."[3]

ويرى طه عبد الرحمان أن الحِجاج" كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[4]

---

[1] ينظر: مجموعة من المؤلفين، **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، ص420

[2] **الخطابة وإعداد الخطيب**، عبد الجليل شلبي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1987، ص13

[3] **لسان العرب**، ابن منظور، مادة " حجج"

[4] **اللسان والميزان أو التكوثر الدلالي**، طه عبدالرحمان، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005، ص80

قال الحجّاج في أحد خطبه:" **يا أهل العراق، بلغني أنكم تروون عن نبيكم أنه قال: من ملك على عشر رقاب من المسلمين، جيء به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور، وايم الله، إني لأحب إليَّ أن أحشر مع أبي بكر وعمر مغلولا من أن أحشر معكم مطلقا.**"[1]

في هذا المقتطف من كلام الحجّاج نلمس استشهادا بالمثل الرفيع الذي لا يجرؤ المستمع على الطعن فيه، كما فيه تحقير لأهل العراق وتخريج هذا الكلام:

- أبو بكر وعمر حكما
- الحكم لم يوبق أبا بكر وعمر
- الحكم لا يوبق أحدا

فهو يستخدم الأدوات الإقناعية في خطبته، غير أنّه لم يغفل في نهاية خطبته عن تحقير المخاطبين كعادته وإهانتهم؛ فهو يفضل أن يحشر مع أبي بكر وعمر مغلولا من أن يحشر مطلقا من أهل العراق.

هناك نوع من الحجاج يطلق عليه حجاج القوة وهو: احتجاج يسعى صاحبه إلى حمل المخاطب على سلوك معين أو على عمل معين سعيا يستند إلى التهديد. منه يستمد الحجة وعلى أساسه يسأل الاقتناع الذي يتخذ في نهاية الأمر شكل الاستسلام. ويكون لهذا النوع من المحاجة في العادة أحد الشكلين التاليين: افعل كذا وإلا ضربتك. لا تفعل كذا وإلا ضربتك.

---

[1] **جمهرة خطب العرب**، ج297/2

يقول الحجّاج في الخطبة التي ألقاها في أهل الكوفة:" **لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه، وأنهبت ماله، وهدمت منزله.**"[1]

يعد الاستشهاد آلية تندرج تحت آلية الاحتجاج بالسلطة، فقد يستعين المتكلم بآيات القرآن الكريم من أجل تعزيز موقفه، وتعد الآيات من أكثر الخطابات تأثيرا في المتلقي.

واستشهد الحجّاج بشيئين:

1- القرآن الكريم

2- الشعر

إذ عمد الحجّاج إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم في خطاب يهدد فيه أهل العراق. ويعد الشعر مكونا من مكونات الثقافة عند العرب وكان المرآة التي تعكس هوية الأمة وتكوينها الاجتماعي.

الاستمالة

تعد الخطابة من أبرز الفنون الأدبية، وتعرّف بأنها فن الإقناع والاستمالة. ويتحدث العلماء عن ثلاثة أنواع أساسية من الاستمالة:[2]

1- الاستمالة العاطفية:

وتستهدف التأثير في وجدان المتلقي وانفعالاته وإثارة حاجاته النفسية والاجتماعية ومخاطبة حواسه بما يحقق أهداف القائم بالاتصال وتعتمد هذه الاستمالة على ما يأتي[3]:

---

[1] المصدر السابق، ص 291

[2] **مقاربات سوسيولسانيّة**، نعمة الطائي، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016، ص 410

[3] **ينظر: من أساليب الإقناع في القرآن الكريم**، معتصم بابكر مصطفى، وزارة الشؤون والمقدسات الإسلامية، قطر، ط1، 2003، ص53و54

أ- استعمال الشعارات والرموز: فالشعارات هي عبارات يطلقها القائم بالاتصال لتلخص هدفه في صيغة واحدة مؤثرة بنحو يسهل حفظها وترديدها.

ب-استخدام الأساليب البلاغية؛ كالتشبيه، والاستعارة والكناية والحذف والنداء والاستغاثة والاستفهام الذي يخرج من كونه استفهاما حقيقيا إلى معان أخر مجازية كالتوبيخ والتبكيت وغيرها من الأساليب البلاغية التي من شأنها تجسيد وجهة نظر القائم بالاتصال.

ت-دلالات الألفاظ، وهي من أساليب تحريف الكلم من مواضعه اعتمادا على الألفاظ المستخدمة، ويمكن تطبيق ذلك باستخدام كلمة أو صفة أو فعل محمل بمشاعر معينة قد تكون سلبية تضفي نوعا من الرفض على الاسم وقد تكون إيجابية.

ث-صيغ أفعل التفضيل وتستعمل لترجيح فكرة معينة أو مفهوم ما.

2- الاستمالة العقلانية:

وتعتمد على مخاطبة عقل المتلقي وتقديم الحجج والشواهد المنطقية، وتفنيد الآراء المضادة، بعد مناقشتها، وإظهار جوانبها المختلفة.

3- الاستمالة القسرية:

وتشير هذه الاستمالة إلى النتائج غير المرغوبة التي تترتب على عدم اعتناق المتلقي لتوصيات القائم بالاتصال وتؤدي إلى جعل المتلقي يستجيب للرسالة في حالتين:[1]

الأولى: شدة الإثارة العاطفية (الترغيب) التي تشكل حافزا لدى المتلقي

[1] **أساليب الإقناع في القرآن الكريم**، معتصم بابكر مصطفى، قطر، ط1، 2003، ص60

الأخرى: توقعات الفرد بإمكان تجنب الأخطار (الترهيب) ومن ثم تقليل التوتر العاطفي عند الاستجابة لمحتوى الرسالة.

والقسم فعل كلامي تأكيدي غرضه تأكيد الخبر يندرج ضمن التقريريات وهو ما يعني أن الحجّاج يدرج مسؤوليته عن صحة ما يتلفظ به لأنه يستوفي شرط الاستعلاء والسلطة، فتوكيده له تأثير مباشر على المتلقي.

يمكن القول: "إن العبارات اللفظية ذات قيم انفعالية معينة"[1]. وأصناف الفعل الكلامي "تتمظهر في أساليب إنشائية وأغراضها الإنجازية تتعدد حسب المقام ومقاصد المتكلم."[2]

والقسم – بفتح القاف والسين– الحلف واليمين. والجمع أقسام، قال المبرد:" وللقسم أدوات توصل الحلف إلى المقسم به؛ لأن الحلف مضمر أي غير ظاهر لعلم السامع به."[3] وقالابن جني:" إن القسم لا يفيد إذا استقل بنفسه، وإنما الإفادة تحصل إذا انضم إلى المقسم عليه ويحتاج إلى ثلاثة أشياء: إلى مقسِم وهو الحالف، وإلى مقسم به."[4]

يقول الحجّاج في خطبته:" أما والله إني لأحمل الشر بحمله ..." لقد وظّف الحجّاج في هذا المقطع مجموعة من الأفعال التوجيهية أولها القسم وهو فعل كلامي تأكيدي غرضه تأكيد الخبر يندرج ضمن التقريريات، وهو ما يعني أن الحجّاج يدرج مسؤوليته عن صحة ما يتلفظ به لأنه يستوفي شرط الاستعلاء والسلطة هذا بالإضافة إلى توظيفه أفعالا توجيهية أخرى مثل: إني لأحمل، أحذوه، أجزيه، إني لأرى، إني لأنظر) وهي أفعال كلامية مباشرة استعملها المتكلم

---

[1] **علم النفس اللغوي**، نوال محمد عطية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط3، 1995، ص60

[2] **أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى عليه السلام**، ابتسام بن خراف، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع: 12، ص341.

[3] **المقتضب**، المبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1994، ج31/2

[4] **البيان في شرح اللمع**، ابن جني، تحقيق علاء الدين حموية، دار عمار، بيروت، ط1، 2002، ص576

لغرض التهديد والوعيد وهي حسب تصنيف سيرل: أفعال التزامية غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل.

ويقول:" أما والله لألحونكم لحو العصا" لقد وظف المخاطب في هذا المقطع أفعالا توجيهية يتصدرها القسم وهو فعل كلامي تأكيدي يدرج مسؤولية المخاطب أو المتكلم عن صحة ما يتلفظ به كما استعان بأفعال توجيهية مباشرة في قوله: لألحونكم.. لأعصبنكم... لأضربنكم... وهي أفعال تتضمن التهديد وتنفيذ الوعيد وتصنف ضمن الأفعال الالتزامية التي تجعل المتكلم يلتزم بفعل شيء وهنا الحجّاج يلتزم بتنفيذ هذه الأنواع من العقاب وهي:"(اللحو، العصب، الضرب)؛ وقد حقق المتكلم أفعاله الإنجازية هذه لتوفره على شروط الاستعلاء والسلطة فمكانته الاجتماعية والسياسية هي من خولته لإصدار أفعال التهديد والوعيد.

ويقول الحجّاج كذلك: (إياي وهذه الزرافات والجماعات وقيلا وقال وما تقول وفيما أنتم وذاك).

وظف الحجّاج في هذا المقطع فعلا كلاميا مباشرا وهو التحذير في قوله (فإياي) وقد عرّف العرب التحذير بأنه " تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه" فيقوم هذا الفعل على أساس التنبيه والأمر بالاجتناب كما قال سيبويه أو الدعوة إلى الترك وهي الفائدة المرجوة منه.

والزرافات: الجماعات، وهو هنا يحذر المخاطبين من التجمع بجماعات، كما ويحذرهم من القيل والقال.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة موضوع العنف اللّغوي في خطب الحجّاج بن يوسف الثقفي ولا ينكر الدارسون أن الحجّاج كان من أشد أهل عصره تهديدا في خطبه وقد انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج وهي:

- تفشّى العنف اللفظي اللغوي في خطب الحجاج نتيجة المشهد السياسي الذي كان في العصر الأموي. حيث كثرت الأحزاب السياسية واختلفت كثيرا في مسألة الخلافة وصاحب الحق بها.
- ثقافة الحجّاج ثقافة دينية، يرتكز الحجّاج في توجيه العنف إلى أهل العراق على مرتكز ديني ومنطلق إسلامي فهو يوبخهم مثلا بالشقاق والنفاق مع ورود غير ذلك من المعاني الإسلامية
- كثرت صيغ المبالغة التي تنطوي في دلالتها المعجمية على العنف خصوصا جانب صفاته التي يمتلكها. بالإضافة إلى استعمال الصفة المشبهة لإلصاق أوصاف بأهل العراق.
- استخدم الحجّاج الأمثال والتراكيب الجاهزة التي تحمل معنى العنف مثل قوله: يا بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإما.
- خرجت كثير من الأساليب البلاغية من معناها الحقيقي إلى معاني التوبيخ والتهديد مثل فعل الأمر والشرط والاستفهام.
- توظيف نظرية أفعال الكلام في دراسة العنف يقدم نتائج جيدة. خصوصا في اهتمامها بدراسة السياق المحيط والإجراءات المعتمدة في إنجاز الأفعال.

قائمة المصادر والمراجع

- **الأداء الخطابي بين عصر صدر الإسلام وبني أمية**، مي يوسف خليف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

- **أدب السياسة في العصر الأموي**، أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1969.

- **أدب العرب**، مارون عبود، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1979.

- **أدوات الحرب في الشعر الجاهلي(المفضليات الجاهلية أنموذجا)**، حمدي محمود منصور، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الأول، العدد1، 2014

- **الإساءة اللفظية ضد الأطفال من قبل الوالدين في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية بالوالدين**، شقيرات، مجلة الطفولة العربية، الكويت، ع:7، 2001.

- **أساس البلاغة**، الزمخشري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003.

- **أساليب الإقناع في القرآن الكريم**، معتصم بابكر مصطفى، قطر، ط1، 2003.

- **أساليب بلاغية**، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980.

- **الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي**، ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط3، 2017.

- **الأسس الابستمولوجية والتداولية**، ادريس مقبول،، عالم الكتب الحديث ط1، 1994.

- **أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه –إعرابه**، عبد الكريم محمد يوسف، مطبعة الشام، دمشق، ط1، 2000.

- **الأصول في النحو**، ابن السراج، تحقيق الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف، 1973.

- **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002.

- **أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى عليه السلام**، ابتسام بن خراف، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

- **الأمالي**، القالي، عني بوضعه وترتيبه: محمد الأصمعي، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1929.

- **البداية والنهاية**، ابن كثير، دار أبي حيان، القاهرة، ط1، 1996.

- **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1972.

- **البرهان في وجوه البيان**، ابن وهب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، بغداد، ط1، 1967.

- **البيان في شرح اللمع**، ابن جني، تحقيق علاء الدين حموية، دار عمار، بيروت، ط1، 2002.

- **البيان والتبيين**، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985.

- **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1964.

- **تبسيط التداولية من أفعال الكلام إلى بلاغة الخطاب السياسي**، محمد بهاء الدين، دار شمس، القاهرة، ط1، 2010.

- **تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي**، محمد الخوالدة، رسالة ماجستير، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 2016.

- **التعريفات**، الجرجاني، تحقيق: عبد الرحمان عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987.

- **التلخيص في علوم البلاغة والبيان والبديع**، الخطيب القزويني، شرح عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1904
- **تهذيب اللغة**، الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001.

- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

- **جامع الأحكام الفقهية من تفسير القرطبي**، جمع وتصنيف: فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

- **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، حنا الفاخوري، دار ذوي القربى، ط1، 2001.

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.

- **جماليات التشكيل في النص الخطابي عند الحجّاج بن يوسف الثقفي**، رسالة ماجستير ، سليم بوزيدي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010.

- **جمهرة خطب العرب**، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت.

- **جمهرة رسائل العرب**، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت

- **جواهر البلاغة**، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

- **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، الصبان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- **حجاج الإيهام والمغالطة في الخطابة العربية (منتخبات من خطب الحجّاج بن يوسف الثقفي)**، عمارية حاكم، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، 2017.

- **الحجاج بن يوسف الثقفي، مواقف من حياته (دماء وعطاء)**، المَدَري، د.ن.

- **الحجّاج حياته وخطابته**، علي حسين، مطابع الدار القومية، مصر.

- **الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)** لفريق من البحث في البلاغة والحجاج بإشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، تونس، 1998.

- **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، ابن هذيل الاندلسي، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، 1951.

- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987.

- **الخصائص**، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

- **الخطابة (أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب)** الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1980.

- **الخطابة تعريفها وأهميتها في الإسلام**، أمير بن محمد المدري، alukah>net، 2019.

- **الخطابة وإعداد الخطيب**، عبد الجليل شلبي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1987.

- **الخطابة والخطيب**، محمد سمير الشاوي، دار الأمير، بيروت، ط1، 1994.

- **الخطابة**، أرسطو، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959.

- **خطب الحجاج بن يوسف الثقفي" دراسة أسلوبية"**، رسالة ماجستير، عبدالله ماهر السوسي، الجامعة الإسلامية، غزة، 2017.
- **خطب الحجاج بن يوسف الثقفي،"دراسة أسلوبية"**، رسالة ماجستير، إعداد: عبد الله ماهر السوسي، الجامعة الإسلامية، غزة، 2017.

- **خطب الحجاج بن يوسف الثقفي،"دراسة أسلوبية"**، رسالة ماجستير، إعداد: عبد الله ماهر السوسي، الجامعة الإسلامية، غزة، 2017

- **دروس في الألسنية العامة**، فرديناند دي سوسير،، تعريب: صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985.

- **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط1، 1983.

- **الرمز والسلطة**، بيير بورديو، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط3، 2007.

- **زهر الآداب وثمر الألباب، القيرواني**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط4.

- **سيكولوجية السلطة– بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة**، سالم القمودي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999.

- **سيميائية الضمير أنا في الدلالات وبناء التأويل**، ابن السائح الأخضر، مجلة سمات، جامعة البحرين، مركز النشر العلمي، 2014.

- **شرح ديوان الحماسة**، المرزوقي، علق عليه ووضع حواشيه: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

- **شرح ديوان الحماسة، المرزوقي**، علق عليه ووضع حواشيه: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003

- **شيء من سيميائيات اللباس عند العرب**، توفيق قريرة، 2017، www.alguds.co.uk

- **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، ابن فارس، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن البسج، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1997.

- **صفة النفاق ونعت المنافقين**، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: عامر حسن صبري، البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2001.

- **الصناعتين**، أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1984.

- **عروس الأفراح**، السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **العقد الفريد**، ابن عبدربه، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1983.

- **العقل واللغة والمجتمع**، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف(الجزائر) والمركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم(بيروت)، ط1، 2006.

- **علم الإشارة: السيميولوجيا**، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي وتقديم: مازن الوعر، ط1، 1998.

- **علم الدلالة**، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.

- **علم اللغة الاجتماعي**، د. هدسون، ترجمة: محمود عيّاد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990.

- **علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي**، محمود السعران، دار المعارف، الاسكندلاية، 1962.

- **علم النفس اللغوي**، نوال محمد عطية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط3، 1995.

- **العمامة في الجاهلية والإسلام**، محمد وهيب جبوري، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، ع:8، 1985.

- **العنف والعنف السياسي**، نجاة بلحمام، مجلة الباحث، العدد الثامن: 2011.

- **عيون الأخبار**، ابن قتيبة، دارالكتب العلمية، بيروت، 1997.

- **غريب الحديث**، ابن قتيبة، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397.

- **فجر الإسلام**، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، 1969.

- **فن الإلقاء العربي: الخطابي والقضائي والتمثيلي،** فاروق سعيد، شركة الجلبي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1999.

- **فن الخطابة،** أحمد الحوفي، دار الفكر العربي، ط4.

- **الفن ومذاهبه في النثر العربي،** شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط5.

- **في البدء كان الصراع،** خلدون النقيب، دار الساقي، بيروت، ط1، 1997.

- **في البلاغة العربية (علم المعاني)،** عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2009.

- **في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا،** محمد العمري، أفريقيا الشرق،المغرب، ط2، 2002

- **القاموس المحيط، الفيروزآبادي،** تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005.

- **الكامل في اللغة والأدب،** المبرد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006.

- **الكتاب،** سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.

- **كشاف اصطلاحات الفنون،** التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1963.

- **لسان العرب،** ابن منظور، دار صادر، بيروت.

- **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،** طه عبدالرحمان، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005

- **اللسانيات وأسسها المعرفية،** عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986.

- **اللغة العربية معناها ومبناها،** تمام حسان، ط2، 1997.

- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، تحقيق: رياض عبد الحميد، دار صادر، بيروت، ط1، 2004.

- **مختصر تاريخ دمشق**، ابن منظور، دار الفكر، بيروت، ط1، 1984.

- مدخل إلى البلاغة العربية، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، 2010

- **مروج الذهب**، المسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1988.

- **معجم الألوان والمسميات المرتبطة بها**، سليمان النعيمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2000.

- **معجم تحليل الخطاب**، باتريك شارودو، دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، 2008.

- **مفاتيح العلوم**، الرازي، تحقيق: نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1991.

- **مقاربات سوسيولسانية**، نعمة الطائي، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016.

- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، الأشعري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1990.

- **المقاييس في اللغة**، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار الإسلامية، بيروت، 1990.

- **المقتضب**، المبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1994.

- **من أساليب الإقناع في القرآن الكريم**، معتصم بابكر مصطفى، وزارة الشؤون والمقدسات الإسلامية، قطر، ط1، 2003.

- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

- **المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد،** أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.

- **النص والسياق،** فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت.

- **هل العراقيون أهل شقاق ونفاق؟**، إبراهيم الحيدري، ahewar.org، 2015

- **الوافي بالوفيات**، خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000.

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994.